التلمذة الحقيقية

بقلم
وليم مكدونلد

التلمذة الحقيقية

True Discipleship

William MacDonald

جميع الحقوق محفوظة
للناشر لهذه النسخة الجديدة

©

أصدار ونشر باللغة العربية

معهد عمواس للكتاب المقدس

أيار ٢٠٠٧

لا يجوز نسخ هذا الكتاب أو أي جزء منه باية طريقة كانت، الكترونية أو مطبعية او رقمية، بدون اذن خطي مسبق من الناشر لهذه الطبعة للكتاب، نسمح باستعمال اجزاء منه للتعليم والوعظ والدراسة واقتباسات في المقالات المختلفة، مع الاشارة للمصدر

التسجيل الدولي ISBN ١٨٨٢٧٠١٩١-٧

تقديم

هذا الكتاب هو محاولة لإبراز بعض مباديء التلمذة. رأى بعضنا هذه المباديء في كلمة الله منذ سنوات، ولكن وصل إلى قرار في ذاته أن هذه المباديء متزمتة جدا وغير عملية في عصر معقد نعيش فيه اليوم. وهكذا نستسلم لبيئة الحياة الروحية الباردة.

بعد ذلك نتقابل مع مجموعة من المؤمنين الشباب الذين عقدوا العزم ليبرهنوا أن شروط التلمذة التي وضعها المخلص ليست فقط عملية جدا بل وأنها الشروط الوحيدة التي ستؤدي إلى ايصال البشارة إلى العالم. ونحن نعترف أننا مديونون لهؤلاء الشباب الذين زودونا بالمثال الحي لكثير من الحقائق التي أبرزناها هنا. ولأن هذه الحقائق ما زالت أبعد من أن نكون قد اختبرناها، فنحن نعرفها هنا من قلوبنا المشتاقة لرؤيتها بحياتنا.

وليم مكدونلد

فهرس الموضوعات

الفصل	الموضوع	الصفحة
الأول	شروط التلمذة	٧
الثاني	ترك كل شيء	١٣
الثالث	عقبات في سبيل التلمذة	٢١
الرابع	التلاميذ هم وكلاء	٢٥
الخامس	الغيرة	٢٩
السادس	الايمان	٣٥
السابع	الصلاة	٣٩
الثامن	الحرب	٤٥
التاسع	السيادة على العالم	٥١
العاشر	التلمذة والزواج	٥٧
الحادي عشر	حساب النفقة	٦١
الثاني عشر	ظل الاستشهاد	٦٥
الثالث عشر	مكافآت التلمذة الحقيقية	٦٧
الرابع عشر	اين كنزك؟	٧٠
الخامس عشر	نشيط في العمل	٧١
السادس عشر	الحيازة وليس التمسك	٧٣
السابع عشر	ما الضرر في ذلك؟	٧٧
الثامن عشر	موضوع الاموال المجمدة	٨٣
التاسع عشر	ماذا يقول الكتاب؟	٩١
العشرون	الله يقدر الاشياء المكسورة	٩٩
الحادي والعشرون	يريدنا الله جميعا أن نكون منكسرين	١٠١
	دليل الدراسة ١٢ فصل	١١٩

المقدمة

تبدأ طريق التلمذة الحقيقية لحظة اختبار المرء الولادة الثانية. لذا لا بدّ، من حدوث ما يلي:

١- أن يعترف الإنسان بأنه خاطئ وأعمى وعريان أمام الله.

٢- أن يقرّ بأن أعماله الصالحة وأخلاقه الرفيعة عاجزة عن تخليصه.

٣- أن يؤمن بأن الرب يسوع المسيح مات على الصليب بديلاً عنه.

٤- أن يعترف بالمسيح رباً ومخلصاً وحيداً له، وذلك بإيمان حقيقي عميق.

على هذا النحو يصبح الإنسان مسيحيًا حقيقياً. وجدير بنا أن نشدّد على هذا منذ البداية إذ يعتقد الكثيرون أنهم يصبحون مسيحيين إذا هم عاشوا حياة مسيحية! كلا البتة، فعلى المرء أن يصبح مسيحيًا قبل أن يتمكن من أن يعيش الحياة المسيحية.

إن حياة التلمذة التي يعرضها هذا الكتاب هي حياة مثالية، وليس لدينا القدرة على عيشها، إلا بقوة إلهية. ولا نستطيع اقتبال القوة التي تميزنا بالقدرة على الاقتداء بالمسيح إلا إذا وُلدنا ثانيةً.

فقبل شروعك بالقراءة، اسأل نفسك:

هل سبق لي أن وُلدتُ ثانيةً؟ وهل صرتُ ابناً لله بالإيمان بالمسيح يسوع، وقبوله مخلصاً شخصيا لحياتي؟

إذا كان جوابك بالنفي، فاقبله الآن ربًّاً ومخلصاَ مصمماً على إطاعته في كل ما يوصيك به، مهما كلّف الأمر.

المؤلف

الفصل الأول

شروط التلمذة

المسيحية الحقيقية هي تسليم كليّ تام للرب يسوع المسيح. لا يبحث المخلّص عن رجال ونساء يعطونه أوقات فراغهم المسائية، أو عطلة نهاية الأسبوع، أو سنين تقاعدهم، بل يبحث عن أناس يعطونه، المكان الأول في حياتهم. قال ايفان هوبكنز: «يطلب المسيح اليوم كما كان يطلب دائماً، لا جماهير تتبعه على غير هدى، بل أفراداً من الرجال والنساء يتبعونه عن ثقة وإدراك، مستعدين لأن يسيروا في طريق إنكار الذات الذي سار هو فيه من قبلهم».

ليس إلا التسليم غير المشروط يصلح أن يكون تلبية لائقة لذبيحة المسيح على الجلجثة. محبته الإلهية الفائقة لا يمكن أن ترضى إلا بتسليمه نفوسنا وحياتنا وكل ما لنا.

يطلب الرب يسوع مطاليب عسيرة من الذين يتبعونه في التلمذة، مطاليب تُغفَل في هذا العصر الذي يتسم بالتنعّم والرفاهية. فكثيراً ما نظرنا إلى المسيحية كمهرب من جهنم وكضمان للسماء! وشعرنا بعد ذلك بأنّ لنا الحق في أن ننعم بأطيب ما تقدمه الحياة. ثم إننا نعلم أن هنالك آيات كثيرة في الكتاب المقدس تتكلم عن التلمذة، ولكن يصعب علينا أن نوفّق بينها وبين أفكارنا في المسيحية وماذا ينبغي أن تكون.

نحن لا نستغرب أن يبذل الجنود حياتهم حباً بالوطن، ولا نستغرب أن يبذل الناس حياتهم من أجل دوافع سياسية. وأما أن تنطوي حياة تابع المسيح على «الدم والعرق والدموع» ففكرة بعيدة عن أذهاننا.

إلا أن كلام المسيح واضح وقاطع وصريح، لا يترك مجالاً لسوء الفهم أو سوء التأويل، بشرط أن نقبل معناه الصريح الواضح. وها هي شروط التلمذة كما وضعها مخلص العالم نفسه.

١- محبة قصوى للمسيح

«إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضاً فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً». (لوقا١٤:٢٦)

هذا لا يعني أن نبغض أقاربنا أو نحقد عليهم، بل يعني أن محبتنا للمسيح يجب أن تكون قوية جداً بحيث تبدو كل محبة أخرى وكأنها بغضة إذا ما قورنت بها. وفي الواقع إن أصعب عبارة في هذا الفصل هي قوله «حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضاً». فإن محبة النفس من أشد العقبات التي تعرقل التلمذة. فإن لم نضع حياتنا نفسها له ونسلمها ليده تمام التسليم، لا نصل إلى المكان الذي يريده لنا.

٢- إنكار الذات

«إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ...» (متى١٦: ٢٤).

إنكار الذات ليس كإماتة الجسد. فإماتة الجسد تعني: الامتناع عن بعض الأطعمة أو بعض الملذات أو التخلي عن بعض الممتلكات. لكن إنكار الذات يعني إخضاع النفس بالكامل لسيادة المسيح حتى لا يبقى للذات أيّة حقوق أو سلطة بتاتاً. هذا يعني أن الذات تتنازل عن العرش. وقد عبّر عن ذلك هنري مارتن بقوله: «لا تسمح يا رب أن تكون لي إرادة من ذاتي، ولا أن أعتبر سعادتي الحقيقية متوقفة، حتى في أقل درجاتها، على شيء يأتيني من الخارج، بل أن أعتبرها متوقفة بالكلية على طاعتي التامة لمشيئتك».

٣- حمل الصليب طوعاً واختياراً

«إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ...» (متى١٦:٢٤).

ليس الصليب ضعفاً جسمانياً، ولا ألماً نفسانياً، ولا شيئاً مما يصيب البشر عامةً؛ بل هو طريق نختاره بأنفسنا طوعاً، وإن كان يُعَدُّ في نظر العالم هواناً وعاراً. فالصليب يمثل العار والاضطهاد والضيق، الذي صبّه العالم على ابن الله، وما زال يصبّه على جميع الذين يختارون أن يقفوا ضد التيار. وفي مقدور أي مؤمن أن يتجنب الصليب إن أراد، وذلك بمشابهته العالم ومجاراته لطرق أهله.

٤- إنفاق الحياة في اتباع المسيح

«إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي» (متى١٦:٢٤).

لكي نفهم هذا علينا أن نسأل أنفسنا هذا السؤال «ما الذي ميز حياة الرب يسوع المسيح؟» لقد كانت حياة المسيح حياة الطاعة لإرادة الله، حياة في قوة الروح القدس، حياة خدمة مضحية لاجل الآخرين، حياة صبر وطول أناة في مواجهة اشد الآلام وافظع الإساءات. كانت حياة غيرة وبذل وضبط نفس ووداعة ولطف وأمانة وولاء. فقد ظهر فيها ثمر الروح المذكور في غلاطيه٥:٢٢و٢٣. فإن أردنا أن نكون تلاميذه مظهرين ثمر حياة التشبّه به في حياتنا (يوحنا١٥:٨)، فعلينا أن نسلك كما سلك هو.

٥- محبة قوية لجميع تابعي المسيح

«بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضاً لِبَعْضٍ». (يوحنا١٥:٣٥).

هذه هي المحبة التي تحترم الآخرين أكثر من النفس. المحبة التي تستر كثرة من الخطايا. الْمَحَبَّةُ الَّتِي تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ الَّتِي لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ الَّتِي لاَ

تَتَفَاخَرُ وَلاَ تَنْتَفِخُ، وَلاَ تُقَبِّحُ وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا وَلاَ تَحْتَدُّ وَلاَ تَظُنُّ السُّوء، وَلاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ. وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ (١كورنثوس١٣:٤-٧)

دون هذه المحبة تصبح التلمذة زهداً بارداً، وتنسكاً طقسياً لا قيمة له.

٦- ثبات دائم في كلمة الله

«إِنَّكُمْ إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كلاَمِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تلاَمِيذِي» (يوحنا٨:٣١). لأن التلمذة الحقيقية تتميّز بالاستمرار والدوام، فما اسهل أن نبدأ حسناً، وان تشرق منّا ومضات من المجد والبهاء بين آن وآخر، إنما محك الحقيقة هو الثبات إلى النهاية. «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَه عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ». (لوقا٩:٦٢). لهذا فان الطاعة المتقطعة لكلمة الله، لا تنفع ابداً. لان المسيح يطلب من كل اتباعه طاعة دائمة، متواصلة على غير إنقطاع ودون تساؤلات، كما تعبر عن ذلك الترنيمة التي مطلعها:

صمّمت أني اتبع يسوع — أتبع يسوع بلا رجوع

احفظني الهي من الرجوع — وضعت يدي على المحراث

احفظني من الرجوع

٧- ترك كل شيء في سبيل اتّباعه

«فَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً» (لوقا١٤:٣٣).

ربما يكون هذا هو اقل الشروط تطبيقاً بوجه عام. وقد يكون هو أثقل جميع شروط التلمذة على آذان الناس. وعلماء اللاهوت يستطيعون بمهارتهم أن يعرضوا لك ألف سبب ليبرهنوا أن هذا العدد لا يعني ما يقوله.

أما التلاميذ البسطاء فيقبلونه بتمامه، عالمين أن الرب يسوع كان يعلم ويعني ما يقول. فما معنى القول «يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ» معناه ترك كل ما نملك ماديا، ممّا لا يكون ضرورياً جداً لنا، ليُستخدم في نشر الإنجيل. ومن يترك الكل لا يصبح متعطلاً متسكعاً في الشوارع، لكنه يشتغل بجدّ ليوفر لنفسه وعائلته ضروريات الحياة ولوازمها العادية. لكن ما دامت رغبة حياته الملحّة هي في امتداد عمل المسيح، فهو يضع كل شيء يزيد عن حاجاته الضرورية في عمل الرب، ويترك أمر المستقبل لله. وهو إذ يطلب أولاً ملكوت الله وبره، يؤمن أنه لن يعوزه طعام ولا لباس. ولا يستطيع بضميره ووجدانه أن يحتفظ بالمال الذي يزيد عن حاجته، بينما النفوس تهلك بعدم معرفتها بالإنجيل. ولن يقضي حياته في جَمع أموال سيأخذها إبليس، حينما يعود المسيح ليخطف قديسية. بل يريد أن يطيع وصية الرب التي تأمره بأن لا يكنز لنفسه كنوزاً على الأرض. وهو في تركه لكل شيء، يقدّم ما لا يمكنه أن يحتفظ به.

هذه إذن هي الشروط السبعة للتلمذة المسيحية. وهي صريحة وقاطعة. والكاتب يدرك أنه، وهو يضع هذه المبادئ والشروط، يحكم على نفسه أنه عبدٌ بطال. لكن هل نخفي حق الله، بسبب عدم أمانة شعبه؟ أليس حقاً أن الرسالة هي، دائماً وأبداً، أعظم من حاملها؟ أما يحقّ لنا أن نقول مع أحد القديسين القدامى «لتكن إرادتك ولو هلكت أنا في سبيل ذلك».

وإذ نعترف بفشلنا الماضي فلنواجه بشجاعة مطالب المسيح منّا، ونسعَى، من ألآن فصاعداً، أن نكون تلاميذ حقيقيين لربنا المجيد!

سيدي قدني إلى المدخل

المس نفسي وفي قلبي افعل

قيودك حرية وكلّها أمل

اعنّي يا سيدي معك لأعمل

اعنّي سيدي لأطيع واحتمل

الفصل الثاني

تَرْكُ كُلَّ شيءٍ

«فَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً» (لوقا١٤:٣٣).

إذا أراد أحد أن يكون تلميذاً للرب يسوع فعليه أن يترك الكل. فكلمات المخلّص هذه واضحة المعنى لا تقبل مواربة ولا تحويراً. ومهما كان اعتراضنا على هذا الطلب **المتطرف**، ومهما ثرنا على هذه السياسة **المستحيلة غير الحكيمة**، تبقى الحقيقة ناصعة قاطعة، وهي أن كلمة الرب هذه صريحة حتمية وهي تعني ما تقول، ولنلاحظ بادئ ذي بدء أنه يجب علينا أن نجابه هذه الحقائق الصادقة الهامة:

١- إن يسوع لم يقدّم هذا الطلب إلى نخبة مختارة من الخدام المسيحيين بل قال «كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ...».

٢- ولم يقل يجب أن نكون راغبين في أن نترك الكل بل قال: «كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ ...».

٣- ولم يقل يجب أن نترك جزءاً من أموالنا، بل قال «كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ...».

٤- ولم يقل بنوع من التلمذة المخفّفة التي تتيسر للإنسان الذي يتمسك بأمواله وكنوزه، بل قال «...لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً».

وفي الحقيقة، يجب ألا ندهش لهذا الطلب الضروري المُلِحّ، كما لو كان الطلب الوحيد من نوعه في الكتاب المقدس كله.

ألم يقل الرب يسوع: «لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً فِي السَّمَاءِ حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ».

أو كما قال ويسلي بحق: «قد حرّم الرب يسوع اكتناز الكنوز في الأرض كما حرّم الزنى والقتل».

ألم يقل الرب أيضاً: «بِيعُوا مَا لَكُمْ وَأَعْطُوا صَدَقَةً» (لوقا١٢:٣٣). ثم ألم يقل للشاب الغني: «بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَوَزِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي» (لوقا١٨:٢٢).

فلو لم يكن تماماً ما قاله، فماذا كان يعني إذا؟

أليس هذا ما فهمه المؤمنون في كنيسة العصر الأول حتى إننا نقرأ عنهم: «وَالأَمْلاَكُ وَالْمُقْتَنَيَاتُ كَانُوا يَبِيعُونَهَا وَيَقْسِمُونَهَا بَيْنَ الْجَمِيعِ كَمَا يَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ احْتِيَاجٌ» (أعمال٢:٤٥) أوَليس هذا ما فعله كثيرون من قديسي الله على مرّ الأعوام، فأطاعوا هذه الوصية بجملتها وتركوا كل شيء وتبعوا الرب يسوع. هكذا فعل **أنطوني نورس غروفس** وزوجته، وهما من طلائع المرسلين إلى بغداد بالعراق، إذ اقتنعا بأن عليهما ألا يكنزا كنوزاً على الأرض، بل أن يكرّسا كامل دخلهما الكبير جداً لخدمة الرب.

وهكذا فعل **شارلي إستاد** إذ صمّم أن يقدّم كل ما يملك للمسيح، وأن يغتنم الفرصة الذهبية التي فشل الشاب الغني في اغتنامها عندما عرضها عليه الرب. وقد عمل **إستاد** بالوصية حرفياً فوزّع ألوفاً من الدولارات لعمل الرب، وأبقى ما يعادل ٩٥٨٨ دولاراً لعروسه. ولم تكن هي أقل منه استعداداً للتضحية والبذل، فابتدرته بالسؤال قائلة: «شارلي! ماذا قال يسوع للشاب الغني؟».

أجاب: «قال له: بِعْ كُلَّ مَا لَكَ».

قالت: «فلنبدأ إذا بتنفيذ وصايا الرب من وقت زفافنا».

فكان أن قدّما مالهما للإرساليات المسيحية.

وهذا هو روح التكريس الذي ملأ قلب **جيم اليوت** فكتب في مذكراته يقول: «يا أبي السماوي، اجعلني ضعيفاً بحيث لا أستطيع أن امسك بيدي أي شيء زمني، واجعلني يا رب غير متمسك بحياتي ولا بصيتي ولا بممتلكاتي. يا أبي اجعلني أفقد حبّي لكل عزيز محبوب سواك. فكم مرة أرخيت قبضة يدي عن شيء لأربح شيئاً أثمن منه، تحقيقاً لرغبة حسبتها بريئة. ومُد يا رب يدي عوضاً عن ذلك لأقبل مسمار الجلجثة كما مدّ المسيح يديه، حتى إذا تركت الجميع أستطيع أن أنجو من كل ما يربطني ويقيّدني. وكما أن ابنك المبارك أخلى نفسه وترك السماء، وهو المساوي لك، كذلك دعني أنا أيضا يا رب أتخلّى عن كل ثمين مرخياً قبضتي عن كل ما أتمسك به».

قد نظن أنه من المستحيل علينا اخذ كلمات الرب هذه حرفياً، وقد توحي إلينا قلوبنا إننا لو تركنا كل شيء نموت جوعاً، وتحضّنا على أن ندّخر لمستقبلنا ومستقبل أولادنا واعزائنا، ونتساءل، لو ترك كل مسيحي كل شيء فمن ينفق على عمل الرب، وان لم يكن بعض المسيحيين أثرياء فكيف يتسنّى للإنجيل أن يصل إلى الطبقات العليا من الناس؟ ونسترسل في الجدل والبحث لنقنع أنفسنا أن الرب يسوع لم يكن يعني ما قاله.

وفي الواقع إن إطاعة وصية الرب هي أحكم أمر، لأن النفس المطيعة له تحظى بالفرح الحقيقي. ويشهد الكتاب المقدس - كما يشهد الاختبار ـ أن الرب يسد إعواز كل من بذل لأجل المسيح وضحى، فالله يعتني، ولا شك، بكل من أطاعه ويهتم بأموره.

لا شك أن من يترك كل شيء ويتبع المسيح لن يصبح مسكيناً يتضوّر جوعاً

ويتسكع في الشوارع منتظراً أن يعوله اخوته المسيحيون. بل يكون:

١. مجتهداً نشيطاً يعمل بجدّ وهمّة لسدّ مطالب احتياجاته واحتياجات أسرته.

٢. ومقتصداً معتدلاً فيعيش على مبادئ اقتصادية معتدلة ما أمكن. بحيث يعطي كل ما يزيد عن حاجاته الضرورية لعمل الرب.

٣. وبعيد النظر فلا يجمع ثروة على الأرض بل يكنز كنوزاً في السماء.

٤. وواثقاً بالرب مسلْماً المستقبل بين يديه، فبدلاً من أن يصرف شبابه وافضل سنيّ حياته في جمع ثروة تسد عوز شيخوخته، يقدّم قوة الشباب وافضل سني العمر لخدمة المسيح ويثق به للمستقبل، مؤمناً بأنه إذ يطلب ملكوت الله وبره لن يكون في حاجة إلى طعام أو لباس لأن هذه كلها تزاد له (متى٦:٣٣).

ثم أنه لا يؤمن بادخار القرش الأبيض لليوم الأسود وحجّته في ذلك ما يأتي:

١. كيف يمكن أن نحتفظ بالمال وندخره للمستقبل المجهول، في حين يمكننا أن نستعمله حالياً لخلاص النفوس؟ ليسأل هذا نفسه «وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجاً، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَه عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ؟» (١يوحنا٣:١٧).

ثم تأملوا وصية الرب العظمى المهمة أن «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ» (لاويين١٩:١٨). فهل نتمّم هذه الوصية إن كنا نترك أقرباءنا يموتون جوعاً، بينما نحن نأكل ويفضل عنّا الخبز؟ هل استعين بواحد ممن اختبروا فرح عطية الله التي لا يعبّر عنها وأسأله: «هل ترضى أن تستبدل بهذا الاختبار مائة عالم؟» إذا علينا ألا نحرم الآخرين من الوسائط التي تمنحهم حياة التكريس وتعزية السماء.

٢. لو كنا نؤمن حقاً أن المسيح آتٍ ثانية لكرّسنا أموالنا لخدمته. وإلا تعرّضت هذه الأموال لقبضة إبليس، وقد كان بالإمكان استعمالها لبركة الكثيرين.

٣. كيف نستطيع أن نصلّي بضمائر مخلصة طالبين من الله أن يدبر المال اللازم لعمله، ونحن نأبى أن نستخدم أموالنا لهذا الغرض؟ فلو كرّسنا كل مالنا لأجل المسيح لأنقذنا أنفسنا من الرياء في الصلاة.

٤. كيف نقدر أن نعلّم الآخرين مشورة الله، إن كانت هناك حقائق كهذه نقصّر عن اطاعتها وتنفيذها؟ فإن حياتنا في مثل هذا التقصير تعطّل شهادة أفواهنا.

٥. إن أهل العالم الماهرين يحتاطون للمستقبل. فسلوك كهذا يكون بالعيان لا بالايمان. أما المسيحي فمدعو لحياة الاعتماد على الله. فإن كان ينصرف إلى جمع كنوز على الأرض، فكيف يختلف عن أهل العالم وطرقهم. ويتذرّع هؤلاء بحجة ادّخار المال لمستقبل عائلاتهم، خوفاً من أن يصبحوا شراً من غير المؤمنين. ويقتبسون عادة العددين التاليين لتأييد هذا الرأي:

أ. «...لاَ يَنْبَغِي أَنَّ الأَوْلاَدَ يَذْخَرُونَ لِلْوَالِدِينَ بَلِ الْوَالِدُونَ لِلأَوْلاَدِ» (٢كورنثوس١٢:١٤).

ب. «وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَعْتَنِي بِخَاصَّتِهِ، وَلاَ سِيَّمَا أَهْلُ بَيْتِهِ، فَقَدْ أَنْكَرَ الإِيمَانَ، وَهُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ» (١تيموتاوس٥:٨).

ودراسة دقيقة لهذين العددين تبيّن بأنهما يعالجان موضوع الحاجيات الضرورية اليومية، ولا يشيران إلى الضمانات المستقبلية.

ففي العدد الأول يستخدم بولس أسلوباً تهكمياً تشبيهياً. فهو الأب وأهل

كورنثوس المؤمنون أولاده. وهو لم يثقّلهم مالياً، مع أنه كان يملك كل الحق في أن يفعل ذلك بصفته خادماً وعبداً للرب. وكان علاوة على ذلك، اباهم في الايمان، والآباء عادة يدّخرون لأجل الاولاد، لا الاولاد لأجل الوالدين. فالموضوع ليس موضوع ادّخار الوالدين لمستقبل الاولاد، لأن الفصل بجملته يختص بسد حاجات بولس الحاضرة، لا بضروريات مستقبله التي قد تنشأ فيما بعد.

في ١تيموثاوس٥:٨ يعالج الرسول موضوع العناية بالارامل. وهو يشدد على أن أقرباءهن مسؤولون عن العناية بهن. فان لم يكن لهن أهل، أو قصر أهلهن في مسؤولياتهم نحوهن، فعلى الكنيسة المحلية أن تعتني بهؤلاء الأرامل المسيحيات. اذ ترى هنا ايضا أن الموضوع يختص بالاحتياجات الحاضرة، لا بضروريات المستقبل.

ان المثل الأعلى الذي يقدمه الله هو أن اعضاء جسد المسيح يجب أن يهتموا بالحاجات الضرورية الحاضرة لاخوتهم المؤمنين.

وقد شرح بولس الرسول هذا الأمر فبيّن أنه يقصد المشاركة والمساواة فقال : «فَإِنَّهُ لَيْسَ لِكَيْ يَكُونَ لِلآخَرِينَ رَاحَةٌ وَلَكُمْ ضِيقٌ، بَلْ بِحَسَبِ الْمُسَاوَاةِ. لِكَيْ تَكُونَ فِي هَذَا الْوَقْتِ فُضَالَتُكُمْ لأَعْوَازِهِمْ، كَيْ تَصِيرَ فُضَالَتُهُمْ لأَعْوَازِكُمْ، حَتَّى تَحْصُلَ الْمُسَاوَاةُ.» (٢كورنثوس٨: ١٣- ١٥).

لقد تم معالجة هذا الموضوع بشكل مطوّل في الفصل الثامن عشر، قضية «رأس المال المجمَّد».

عندما يقتنع المسيحي بوجوب الادّخار لإحتياجات المستقبل يواجه صعوبة تقدير الكمّ الذي سيحتاجه ومِن ثمّ ينفق حياته في السعي لجمع الثروة الغير معروف حجمها، وبهذا يحرم نفسه من فرصة تقديم أحسن ما عنده للرب يسوع المسيح. وعندما يصل إلى نهاية حياته التي سبق أن أتلفها، يجد أن كل احتياجاته كانت ستزوّد له أي حال لو أنه عاش من كل قلبه للمخلِّص.

لو أن كل المؤمنين قبلوا كلمات الرب يسوع حرفياً لما كان هناك أي نقص ماليّ في عمل الرب، ولكانت البشارة قد إنطلقت بقوة وحجم أكبر. لو حصل لأي من التلاميذ إعوازاً ما، لكان من امتياز وفرح التلميذ الآخر أن يزوّده باحتياجه مما يمكن أن يكون لديه.

إنه لمن الحماقة أن نقترح وجوب أن يكون مؤمنون أغنياء لكي يصلوا إلى الأغنياء أمثالهم. لقد وصل بولس إلى بيت قيصر بينما كان هو سجيناً (فيلبي٤:٢٢). يمكننا أن نثق بالله أن يرتّب التفاصيل بينما نحن نبقى أمناء لديه.

يجب أن يكون مثال الرب يسوع حاسماً في الموضوع. ليس العبد أفضل من سيده. لقد آمن **جورج مولر** بهذا المبدأ، «إنه لفكرٍ مريض، أن يسعى الخادم ليصبح غنياً وعظيماً ومحترماً في هذا العالم الذي كان فيه سيده فقيراً، متواضعاً، ومحتقراً».

وقد كتب **أنتوني نوريس جروف** ما يلي:

التألم مع المسيح يشمل الفقر، (٢كورنتوس٨:٩). من الطبيعي أن الفقر لا يعني الخِرق البالية وقذارة العيش، لكنها تعني النقص في الضمان ومقوّمات متعة الحياة. ويقول **أندرو موري**: «لم يكن باستطاعة المسيح ورسله القيام بما عملوه لو لم يكونوا فقراء. فمن أراد أن يربح إنساناً عليه أن ينزل إلى مستواه كما فعل السامري الصالح. والمعروف أن معظم الناس، بل الأغلبية الساحقة منهم، فقراء».

يقول بعض الناس أن هناك ممتلكات مادية معينة ضرورية للحياة، وهذا صحيح. ويقولون أن رجال الأعمال المسيحيون في الوقت الحاضر يحتاجون إلى رأس مال للقيام بعملهم، وهذا صحيح.

ويقول الناس أن مطالب مادية أخرى، مثل السيارة، يمكن أن تستخدم لمجد الله، وهذا أيضا صحيح.

ولكن في ما عدا الضروريات الجائزة، على المسيحي أن يعيش باقتصاد وتضحية لنشر الإنجيل، وأن يكون شعاره كما قال غروفس: «اعمل بقوة، استهلك قليلاً، وأعطِ كثيراً، وكل ذلك لأجل المسيح». فكلّ منّا مسئول أمام الله عن معنى «ترك كل شيء». وليس لمؤمن أن يشرِّع لآخر، بل على كلّ واحد أن يتصرّف بحسب اختباره الخاص أمام الرب. فهذا أمر شخصي ذو علاقة فردية بين الإنسان وربه. فإن قاد الرب مؤمناً إلى نوع من التكريس غريب عن اختباره الخاص، فليس له أن يتكبّر، لأن تضحياتنا كلها لا تحسب تضحيات في ضوء الجلجثة. وعلاوة على ذلك فنحن إنما نعطي الرب ما لا نستطيع أن نحتفظ به على أي حال، وما أجمل ما قاله **جيم اليوت** في هذا الصدد : «ليس غبياً من يعطي ما لا يستطيع أن يحتفظ به، ليربح ما لا يستطيع أن يفقده».

الفصل الثالث

عقبات في سبيل التلمذة

كلّ من صمّم على اتّباع المسيح عليه أن يتأكد أنه لا بدّ من وجود عقبات تعترض طريقه لتصدّه عن التقدم. وسوف تقوم أمامه فرص عديدة تدعوه للنكوص والرجوع، وسوف ترتفع أصوات ليست بقليلة تناديه أن يتخلّف بضع خطوات عن طريق الصليب.

وقد اتضح هذا في قصة الثلاثة الذين أرادوا أن يكونوا تلاميذ للمسيح ولكنهم فضّلوا أصواتاً أخرى على صوت المسيح : «وَفيمَا هُمْ سَائِرُونَ فِي الطَّرِيقِ قَالَ لَهُ وَاحِدٌ: يَا سَيِّدُ أَتْبَعُكَ أَيْنَمَا تَمْضِي. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ. وَقَالَ لآخَرَ: إِتْبَعْنِي. فَقَالَ: يَا سَيِّدُ ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلاً وَأَدْفِنَ أَبِي. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ الله. وَقَالَ آخَرُ أَيْضاً: أَتْبَعُكَ يَا سَيِّدُ وَلَكِنِ ائْذَنْ لِي أَوَّلاً أَنْ أُوَدِّعَ الَّذِينَ فِي بَيْتِي. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ الله». (لوقا٩:٥٧-٦٢).

ثلاثة أشخاص لم تُذكر أسماؤهم، قابلوا الرب يسوع وجهاً لوجه، وشعروا بدافع داخلي يدعوهم لاتّباعه، ولكن شيئاً ما حال دون تكريس نفوسهم تكريساً تاماً للمسيح.

«المستعجل جداً»

لندعُ الرجل الأول «المستعجل جداً». فقد أبدى هذا حماسة بالغة لاتّباع يسوع، أينما ذهب. قال : «يَا سَيِّدُ أَتْبَعُكَ أَيْنَمَا تَمْضِي» إني مستعد أن أدفع الثمن مهما بلغ، وأن أحمل الصليب مهما ثقُل، وأن أسير في طريقك مهما وعُر.

ولكن السيّد يجيبه بطريقة تبدو تحدياً لرغبته الملحّة فيقول له: «لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ». وهذا أنسب جواب لذلك السائل، فكأنّ المسيح يقول له: «أنت تعلن رغبتك في إتّباعي أينما أمضي، فهل ترضى بأن تستغني عن وسائل الراحة المادية في الحياة؟ إن للثعالب وسائل للراحة في هذا العالم أكثر مما لي. إن للطيور أعشاشاً، تستطيع أن تدعوها بيوتاً وملاجىء لها، أما أنا فلا بيت لي ولا مأوى. أنتقل من مكان إلى آخر بلا مسكن في عالم صنعته يداي، فهل ترضى أن تضَحّي بأمن البيت وراحته في سبيل إتّباعي؟ هل ترضى أن تضَحّي بوسائل الراحة المشروعة في الحياة لتخدمني بكل ولاء؟».

ويبدو أن الرجل لم يرض بذلك، والكتاب المقدس لا يذكره ثانية، فقد كان حبّه للراحة الأرضية أفضل لديه من ولائه وتكريسه للمسيح!.

«المبطىء جداً»

ولندعُ الرجل الثاني «المبطىء جداً». نلاحظ أن هذا لم يتطوّع كما تطوّع الرجل الأول، بل المخلّص هو الذي دعاه لاتّباعه. ولم يكن جوابه رفضاً صريحاً، بل الظاهر أنه كان أمامه شيء أكثر أهمية. خطيّته العظمى: أنه وضع مطالبه قبل مطالب المسيح. ونلاحظ ذلك من جوابه: «يَا سَيِّدُ ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلاً وَأَدْفِنَ أَبِي».

من الضروري أن يحترم الابن أباه ويكرمه، ومن الواجب أيضا أن يدفنه عندما يموت بكل احترام وتكريم. ولكن هذه المجاملات الشرعية تصبح خطية شنيعة، إذا ما حالت دون اتّباع المسيح. فهذا الرجل ينكشف طموحه ويُعرف على حقيقته عندما يجيب المسيح: «يَا سَيِّدُ... لِي... أَوَّلاً ...». أما باقي كلامه فكان تورية لإعطاء النفس المكان الأول.

يظهر أن ذاك الرجل لم يدرك أن قوله: «يَا سَيِّدُ ... لِي ... أَوَّلاً...». أمر مضحك، مستحيل. فإن كان المسيح سيّداً فيجب أن يكون أولاً. وعندما يضع الإنسان نفسه أولاً ويتوّجها على العرش، يضيع سلطان المسيح وسيادته. «المبطىء جداً» كان له عمل يتمّمه، وجعل لهذا العمل المكان الأول. لذلك كان من اللائق أن يقول له المسيح: «دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللهِ». ويمكننا أن نوضّح كلماته هكذا: توجد أشياء يستطيع أن يقوم بها الموتى روحياً، كما يقوم بها المؤمنون. إنما توجد أشياء أخرى في الحياة لا يستطيع أن يقوم بها سوى المؤمن فلا تضيّع حياتك في عمل شيء يستطيع أن يقوم به سواك من غير المؤمنين. دع الموتى روحياً يدفنون موتاهم جسدياً أما أنت فكن رجلاً لا يستغنى عنه في عمل ملكوت الله. فاجعل هدفك الأسمى في الحياة أن يكون نشر ملكوتي على الأرض.

ويبدو أن هذا الثمن كان أعظم من أن يدفعه «المبطىء جداً». ولذلك لا نسمع له ذكراً في ما بعد. وإن كان الرجل الأول قد أظهر أن وسائل الراحة الماديّة قد تكون عقبة في سبيل التلمذة، فإن الرجل الثاني أظهر أن العمل، أو المهنة، قد يكونان عقبة إذا ما احتلا المكان الأول، أو صارا الهدف الرئيسي في حياة المسيحي الحقيقي. ليس في الأعمال الدنيوية خطر أو خطأ، فإن الله قد رتب أن يعمل الإنسان ليعول نفسه ويدبّر حاجات عائلته. ولكن حياة التلمذة الحقيقيّة تتطلب أن نضع ملكوت الله وبرّه أولاً، وتتطلّب أن لا يضيّع المؤمن حياته في عمل ما يستطيع الانسان العادي غير المؤمن وغير المتجدّد أن يفعل مثله، إن لم يكن أفضل منه. وإن الهدف من العمل هو مجرّد توفير ضروريّات المعيشة بينما دعوة المؤمن الرئيسية وشغله الشاغل هو المناداة بملكوت الله».

«المتردّد جداً»

أما الرجل الثالث فندعوه «المتردّد جداً» وهو يشبه الأول إذ تطوّع لاتباع الرب، وهو يشبه الثاني في الكلمات نفسها «يَا سَيِّدُ ... لِي ... أَوَّلاً ...». إذ قال: «أَتْبَعُكَ يَا سَيِّدُ وَلَكِنِ ائْذَنْ لِي أَوَّلاً أَنْ أُوَدِّعَ الَّذِينَ فِي بَيْتِي».

ونُسلم مرة أخرى بأنه لا يوجد خطأٌ أساسيّ في هذا الطلب بحدّ ذاته، فليس في إظهار الاهتمام بأحد أقربائنا أو في مجاملة أحبّائنا عند وداعهم اي شيء يناقض وصايا الله. فما هي إذن نقطة الضعف وموطن الخطأ في تصرّف هذا الرجل؟. مشكلته أنه سمح للعلاقات الطبيعية الوديّة أن تاخذ مكان الصدارة وتتقدم على علاقته بالمسيح.

ولذلك يقول له المسيح بنظر ثاقب: «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ». وكأن المسيح يقول له: «لا أريد تلاميذاً مسترخين مدلّلين، بل أناساً حازمين جديّين، يعطونني المكان الأول في حياتهم ويحسبون علاقاتهم بي أفضل من علاقاتهم العائلية الأخرى».

ولا شك أن «المتردّد جداً» ترك يسوع ومضى حزيناً في الطريق. فأن طموحه الشديد لأن يكون تلميذاً للمسيح قد تحطّم على صخرة العلاقات العائلية. ربّما كانت أمه تبكي وتنتحب وتقول له: «إنك تكسر قلب أمّك إن تركتني وذهبت إلى حقل خدمة الرب». لا نعلم ذلك على وجه التحديد، إنما كل ما نعلمه هو أن الكتاب المقدس لم يذكر اسم هذا المتردّد، الذي نكص وعاد على أعقابه، ففقد بذلك أعظم فرصة في حياته، واستحق الحكم: «لا يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ».

توجد إذن ثلاث عقبات رئيسية في سبيل التلمذة الحقيقية، يوضّحها هؤلاء الرجال الثلاثة الذين لم يكونوا مستعدين للسير كل الطريق مع الرب يسوع.

المستعجل جداً - إيثار وسائل الراحة الأرضية.

المبطىء جداً - تفضيل العمل أو المهنة.

المتردّد جداً - الارتباط بالعلاقات العائلية.

وما يزال الرب يسوع يدعو، كما دعا من قبل، أتباعاً من الأبطال المضحّين غير المترددين.

وما زالت العقبات وسبل الهرب ميسورة تعرض نفسها بعبارات مغرية قائلة: «انقذ نفسك! حاشاك! لا يكون لك هذا.»

وما أقل الذين يقبلون تلبية النداء ويختارون المسيح أسنى نصيب!

قابلاً حـمل صـليبي أتبع الفـادي الأمين

راضياً إنكار ذاتي وارتدا العار المهين

الفصل الرابع

التلاميذ هم وكلاء

روى الرب مَثَل وكيل الظلم (لوقا١٦:١-٣١) للتلاميذ، وفيه يضع الرب المبادىء التي تنطبق على مدى العصور. أليس التلاميذ وكلاء، عَهَدَ الرب اليهم بالعناية بممتلكاته ومصالحه هنا على الارض؟

وهذا المَثَل عسير الفهم، يبدو وكأنّه يشجع على الغش والاحتيال. لكن عندما يُفهم على حقيقته، فهو مليء بتعاليم ذات أهمية كبرى جداً.

وقصة هذا المثل تتلخّص في أن رجلاً ثرياً استأجر وكيلاً وعَهَدَ اليه بالإشراف على أعماله. وبعد مضي مدة من الزمن عرف السيد أن وكيله يتلاعب بماله فطلب حالاً من وكيله أن يقدّم حساب وكالته، مع تدقيق كامل في حساباته، وأعطاه إنذاراً بإنهاء خدمته، فأدرك الوكيل أن مستقبله كئيب مظلم. فقد كان متقدماً في السن بحيث لا يستطيع أن يقوم بعمل يدوي متعب، وكان خجولاً يستحي بأن يستعطي. وسرعان ما خطر له خاطر يضمن له أصدقاء في أيام المحنة القادمة. فذهب إلى واحد من مديوني سيده وسأله السؤال نفسه: «كَمْ عَلَيْكَ لِسَيِّدِي؟» فأجاب: «مِئَةُ بَثِّ زَيْتٍ» أي ما يعادل ثلاثة آلاف لتر من الزيت. فقال الوكيل: «إدفع ما يعادل النصف ونضبط الحساب». ثم مضى إلى مديون آخر من مديوني سيّده وسأله السؤال نفسه: «كَمْ عَلَيْكَ لِسَيِّدِي؟» فأجاب: «مِئَةُ كُرِّ قَمْح» أي ما يعادل ثمانية وعشرين ألف كيلوغرام (٢٨ طناً) من القمح. حسناً أجاب الوكيل إدفع ثلثي القيمة «ونسدد الحساب».

وأغرب من تصرّف هذا الوكيل غير الأمين، التعليقُ الذي يليه: «فَمَدَحَ

السَّيِّدُ وَكِيلَ الظُّلْمِ إِذْ بِحِكْمَةٍ فَعَلَ لأَنَّ أَبْنَاءَ هَذَا الدَّهْرِ أَحْكَمُ مِنْ أَبْنَاءِ النُّورِ فِي جِيلِهِمْ» (لوقا١٦:٨).

كيف نفهم نحن هذا المديح الذي يبدو وكأنه يشجّع الخداع والخيانة في المعاملات؟

هناك أمر مؤكد لا شك فيه وهو أن سيّد وكيل الظلم وسيّدنا المبارك لم يمتدحا هذا الخداع وعدم الإمانة. بل أن عدم الأمانة هي التي سبّبت، بالدرجة الأولى، طرده من العمل. وهل يمكن أن نجد شخصاً مستقيماً يشجّع على الغش أو يمتدح الخيانة؟ فمهما حوى هذا المثل من تعاليم فليس فيه أية إشارة تبرّر الاختلاس أو السرقة على أي حال من الاحوال.

إنّما هناك شيء واحد يستحق أن يُمتدح عليه وكيل الظلم وهو تخطيطه أو تدبيره للمستقبل. فقد أتخذ خطوات ليؤمّن لنفسه أصدقاء بعد إنتهاء وكالته. لقد عمل للمستقبل لا للحاضر.

هذه هي النقطة المركزية في المثل: إن أهل هذا العالم يتخذون خطوات جديدة لتأمين مستقبلهم - أي زمن شيخوختهم وأعوام تقاعدهم، فهم يعملون بكلّ جدّ واجتهاد ليضمنوا لأنفسهم راحة، عندما لا يستطيعون العمل بكل جد وتحصيل الربح وهم لا يتركون سبيلاً ولا باباً إلا ويطرقونه ليحصلوا على ضمان اجتماعي.

من هنا نقول أن غير المخلّصين أحكم من المسيحيين. أما السبب في ذلك فلأن مستقبل المسيحي هو في السماء وليس على هذه الارض. هذا هو بيت القصيد. فإن مستقبل غير المؤمن ينحصر في الوقت الذي يقع بين حاضره والقبر. أما مستقبل المؤمن فهو الأبدية التي تقضى مع المسيح.

ويعلّمنا هذا المثل أن غير المتجدِّدين هم أحكم وأنشط في الاستعداد

لمستقبلهم في السماء.

وفي هذه المناسبة يقدّم لنا الرب يسوع التطبيق العملي لهذا المثل فيقول: «وَأَنَا أَقُولُ لَكُمُ: اصْنَعُوا لَكُمْ أَصْدِقَاءَ بِمَالِ الظُّلْمِ حَتَّى إِذَا فَنِيتُمْ يَقْبَلُونَكُمْ فِي الْمَظَالِّ الأَبَدِيَّةِ». ويعني بمال الظلم هنا الثروة والممتلكات الدنيوية، فهذه تمكّننا أن نستخدمها لربح النفوس للمسيح. والنفوس التي نربحها بواسطة أمانتنا في استعمال المال تسمى في المَثَل : «أَصْدِقَاءَ». وسيأتي يوم فيه يدركنا الموت أو نُخطف في السحب لملاقاة الرب في الهواء، الأمر الذي يتم سواءً كنّا راقدين أم أحياء، ويكون أن «الأَصْدِقَاءَ» الذين ربحناهم بحكِمتنا في استعمال أموالنا يكونون معنا في المظال الأبدية.

بهذه الطريقة يخطّط الوكلاء «الحكماء» للمستقبل - لا بإنفاق حياتهم في السعي الباطل للحصول على ضمانات في الارض، بل في السعي النشيط المتحمس للحصول على أصدقاء في السماء، أصدقاء ربحناهم بأموالنا. فعندما يتحول المال إلى كتب مقدسة وأناجيل وأجزاء من الكتاب المقدس ونبذ روحية ومطبوعات دينية أخرى، وعندما يُنفق على خدّام المسيح والكلمة من مُرسلين وغيرهم، أو يُنفق لتمويل برامج الإذاعات المسيحية وسائر النشاطات المسيحية الأخرى الجديرة بالتشجيع، وبعبارة مختصرة: عندما يُستخدم المال لنشر الانجيل في العالم، عندئذ يتحول المال إلى أصدقاء يرحّبون بنا في السماء. فالمال الذي يُنفق على عمل الرب في هذا العالم هو نفسه المال الذي يُكْنَزُ في السماء.

عندما يرى المؤمن أمواله وممتلكاته الزمنية وقد استخدمت لخلاص النفوس الثمينة، يفقد محبته للأشياء المادية وتضيع لذّته في الترف والثروة والمظاهر المادية الجذابة، فلا يعود يستسيغها ولا يحبّذها، ويشتاق إلى أن يرى مال الظلم يتحوّل بكيمياء الهية إلى عبّاد للحمل يسجدون له إلى أبد الآبدين. وعند ذلك تستأسره فكرة القيام بعمل في حياة البشر يؤول إلى مجد دائم لله

وسعادة مقيّمة له ولشعب الله. وكل ما في العالم من ماس وجواهر ولآلئ، وودائع في البنوك وبوليصات تأمين، وقصور ويخوت وسيارات فاخرة، تصبح في عينيه «مَالِ الظُّلْم». إن استخدمها المرء لنفسه وحسب، فلا فائدة منها، ولكن، إن أُنفقت لأجل المسيح تحوّلت إلى غنائم وأرباح تبقى إلى الأبد.

والطريقة التي بها نستخدم أموالنا وممتلكاتنا، والمدى الذي به نتمسك وتتعلق بها هي محك أخلاقنا. وقد أكّد المسيح ذلك في العدد العاشر بقوله: «اَلأَمِينُ فِي الْقَلِيلِ أَمِينٌ أَيْضاً فِي الْكَثِيرِ وَالظَّالِمُ فِي الْقَلِيلِ ظَالِمٌ أَيْضاً فِي الْكَثِيرِ».

و «الْقَلِيلِ» المذكور في هذا العدد هو وكالتنا في الأشياء المادية. فالرجل الأمين هو الذي يستخدمها لمجد الله وبركة أخوته. و «الظَّالِمُ» هو الذي يستخدمها لراحته الشخصية ولتنعّمه الذاتي وتمتّعه الأناني. فإذا كان المرء غير أمين ولا يمكن أن يعهد اليه بالقليل أي بالاشياء المادية، فكيف يمكن أن يعهد اليه بالكثير أي الاشياء الروحية؟ وإن كان غير أمين في مال الظلم، فكيف ننتظر منه أن يكون أميناً كخادم للمسيح وكوكيل سرائر الله (١كورنثوس الأولى٤:١)؟ ويشدّد المخلّص على هذا بشكل أكثر فيقول: "إِنْ لَمْ تَكُونُوا أُمَنَاءَ فِي مَالِ الظُّلْمِ فَمَنْ يَأْتَمِنُكُمْ عَلَى الْحَقِّ؟ " (عدد١١).

الغنى الحقيقي لا يكمن في الكنوز الأرضية، لأن قيمتها محدودة ووقتية. لكن الكنوز الروحية هي الغنى الحقيقي لأن قيمتها لا يمكن أن تقاس أو تحدّ. وإذا لم يكن الانسان أميناً في استعمال الأشياء المادية، فهل يقدر أن يكون أميناً في الأمور الروحية؟

ثم يُلخّص المسيح في مَثَلِهِ إلى القول: «وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أُمَنَاءَ فِي مَا هُوَ لِلْغَيْرِ فَمَنْ يُعْطِيكُمْ مَا هُوَ لَكُمْ؟» (عدد١٢).

إن مقتنياتنا الماديّة ليست لنا، بل هي أمانة من الله، وكل ما نملكه ليس إلا وكالة مقدسة يأتمننا الله عليها. وأما ملكنا الحقيقي فهو ما نبذله من جهود

لنكون أمناء في وكالتنا، في سبيل المكافأة التي سنحصل عليها نتيجة لأمانتنا في الديار الأبدية. فإن لم نكن أمناء في التصرّف بمال الله، فلا نقدر أن نتفهّم حقائق كلمة الله العميقة، ولا يجوز أن ننتظر المجازاة في الحياة الأبدية، وإن كانت الحياة الأبدية نفسها من نصيبنا.

وبعد ذلك نصل إلى الذروة، إذ يلخّص المسيح التعليم الذي يهدف اليه المثل قائلاً: «لاَ يَقْدِرُ احد أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ».

لا يمكن أن يكون هناك ولاء منقسم، فالتلميذ لا يستطيع أن يخدم معلمَين، والوكيل إما أن يحب الله وأما المال. فإن أحب المال فقد أبغض الله.

واذكر، يا أخي، إن هذا الكلام موجّه للتلاميذ، لا لغير المخلّصين.

الفصل الخامس

الغيرة

يُعذر التلميذ الذي لا يملك قدرة عقلية فائقة، ويُعذر التلميذ الذي لم تتوفر لديه قوة جسمانية فذّة. ولكن لا يُعذر التلميذ الذي يفتقر إلى الغيرة. ألا يُقاصص من لم يضرم قلبه بحماس روحي.

أليس المسيحيون أتباع ذاك الذي قال: «غَيْرَةُ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي» (يوحنا٢:١٧). لقد كان مخلصاً متقداً غيرة لله ولجميع ما يختص بالله. فكيف يرضى لذاته بأتباع فاترين؟

عاش المسيح حياة ضغط روحي شديد. وهذا ما تشير اليه كلماته: «وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟» (لوقا١٢:٥٠)، كما تشير اليه أيضاً عبارته المشهورة: «يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ» (يوحنا٩:٤).

وشهد الرب لغيرة يوحنا المعمدان بقوله: «كَانَ هُوَ السِّرَاجَ الْمُوقَدَ الْمُنِيرَ» (يوحنا٥:٣٥).

وكان بولس الرسول غيوراً جداً، وقد حاول أحدهم أن يصف غيرة حياته في المقطع التالي:

«أمامنا رجلٌ لا يهتم بجمع زمرة من الأصدقاء، أو ثروة مادية، لا قيمة عنده للأشياء العالمية، عاش بلا همّ في الحياة وبلا خوف من الموت. رجل لا يسعى لمنصب ولا يتحمس لبلد ولا يسعى إلى تحسين حالته. همّه الأوحد إنجيل المسيح. رجلٌ له غرض واحد هو مجد الله، حَسِبَهُ الناس غبياً فرضي بذلك لأجل المسيح، حسبوه متعصّباً مهيِّجاً للفِتَن فلم يعترض على أن يقذفه

الناس بما شاؤوا... وإن د عوة تاجر، أو رب بيت، أو مواطناً، أو صاحب ثروة، أو رجل علم، أو رجل عالم، أو حتى صاحب ذوق سليم، فلا يؤّثر أحدها على سجاياه. عليه أن يتكلم أو يموت، ولن يحجم عن الكلام حتى إذا أدى به ذلك إلى الموت، لم يعبأ بالراحة بل راح يجوب البرّ والبحر فوق الصخور، وفي براري مجهولة لم يسلكها قبله إنسان، وهو ينادي بصوت عالٍ لا يسكت، ولا ينثني عن عزمه. في السجن يرفع صوته، وفي عواصف المحيط لا يهدأ، وقدام المجامع الرهيبة المفزعة وعروش الملوك يشهد للحق. لم يستطع أحد أن يخمد صوته إلا الموت بل حتى في ساعة الموت، وقبل أن يفصل السيف رأسه عن جسمه، نسمعه يتكلم، ويصلي، ويشهد، ويعترف، ويتوسل، ويناضل وأخيراً يبارك الشعب القساة».

وآخرون من رجال الله تذرّعوا بهذه الغيرة الملتهبة نفسها لإرضاء الله. فقد كتب «شارلي استاد» ذات مرة: «يريد بعضهم أن يعيشوا داخل الكنيسة يسمعون صوتها ويقرعون جرسها. أما أنا فأريد أن أركض لأنقذ إنساناً على بعد متر من جهنم».

وبهذه المناسبة نذكر، عرضاً، أن الذي قاد استاد إلى تكريس تام للمسيح كان مقالاً كتبه ملحد هذا نصه: «لو كنت أومن حقاً وعن يقين، بما يؤمن به ملايين المسيحين القائلين بأن معرفة الإيمان وتطبيقه في هذه الحياة يقرّران المصير في الحياة الأخرى، لو كنت أومن بهذا لجعلت الإيمان كل شيء في حياتي. ولحسبت كل تمتع دنيوي نفاية، وكل الهموم الأرضية حماقة وكل الأفكار الدنيوية والمشاعر العالمية باطلاً، لكنت أجعل الإيمان فكري الأول عندما أستيقظ، وآخر صورة ترتسم أمامي قبل أن أستغرق في النوم وأستسلم للشعور، وكنت أعمل في قضية الإيمان وحدها، ولا أهتم بعد إلا بالأبدية وحسب. وكنت أقدّر أن ربح نفس واحدة للمسيح يعادل حياة كاملة من الألم. وما كانت تعطّل يدي

أو تقفل فمي عواقب أرضية، فإن الأرض بأفراحها وأحزانها لا أعيرها لحظة من أفكاري بل أسعى إلى الأبدية وحدها وأنظر إلى النفوس الخالدة حولي وقد اوشكت على أبدية سعادة أو أبدية شقاء! كنت أذهب إلى العالم وأكرز في وقت مناسب متخذاً آية موضوعي: «لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟».

كان «جون وسلي» إنساناً غيوراً، وقد قال مرة: «أعطني مئة شخص يحبون الله بكل قلوبهم، ولا يخافون سوى الخطية، وأنا أهز بهم العالم».

وكان «جيم إليوت» - شهيد اكوادور - شعلة من نار لأجل المسيح يسوع. كان في يوم من الأيام يتأمل هذه العبارة: «الصانع خدّامه ناراً ملتهبة» (عبرانيين ١: ٧)، فكتب في مذكراته يقول: «هل أنا ملتهب؟ نجّني يا الهي من أن اكون فتيلة لا تشتعل، إمنحني أن أتشبع وأمتلىء بزيت الروح حتى أستطيع أن أكون لهيباً. ولكن اللهيب وقتيّ قصير العمر، فهل تستطيعين يا نفسي أن تكوني زائلة قصيرة العمر في غيرتك؟ وبما أن روح ذلك العظيم الذي عاش حياة قصيرة أكلته خلالها غيرة بيت الله يسكن فيّ، فلا بدّ أن تجعلني يا رب لهيباً لك وناراً متّقدة».

وهذا السطر الأخير مقتبس من قصيدة تتميّز بالغيرة والاضطرام كتبتها «آمي كارمايكل». ولا أن استمد «جيم إليوت» إلهاماً عظيماً من هذه القصيدة:

«نجّني يا رب، نجّني أنا عبدك حرّرني

نجّني من أن ألتمس التهرّب في حياتي

نجّني من الخوف الذي يخشى الطموح

نجّني من الرعب الذي يتهيّب التسلق

نجّني من النفس الناعمة كالحرير

واجعلني جندياً شجاعاً جديراً باتباعك أيّها القائد
نجّني من اختيار الهناءات الهيّنات
نجّني من الاستسلام والتسليم للضعفات
فليس هذا هو الحصن المطلوب
وليس هذا هو الروح الموهوب
للسائرين على درب المصلوب
فمن هذا نجّني يا حمل الله الحبيب
امنحني المحبة التي تقودني في الطريق
امنحني الايمان الذي لا يخشى الضيق
امنحني الرجاء الذي لا يخشى الفشل
امنحني الحماس الذي يضرم فيّ نار العمل
حتى لا أكون قطعة طين باردة خامدة
بل اجعلني يا رب لهيباً وناراً متقدة!»

عار الكنيسة في تاعصر الحديث هو أنها سمحت لأتباع المذهب المادي وأنصار البدع المستحدثة أن تكون لهم غيرة أكثر من المسيحيين. ألا نخجل نحن بصفتنا مسيحيين عندما نذكر أن لينين وسبعة عشر من أتباعه بدأوا يهاجمون العالم عام ١٩٠٤ حتى بلغ عددهم أربعين ألفاً عام ١٩١٨، وقد استطاعوا أن يملكوا زمام مئة وستين مليوناً، ثم تضاعف عددهم حتى أصبح يضمّ نحو ثلث سكان العالم حتى مطلع التسعينات من القرن الماضي؟ ومهما خجلنا من كتاباتهم وادعاءتهم، غير أننا لا نستطيع إلا أن نقدّر حماسهم.

كم من المسيحيين شعروا بالخجل والصغر عندما قرأ «بيلي غراهم» رسالة أرسلها شاب إلى خطيبته يشرح لها سبب إرغامه على فسخ الخطبة - وهذا نص الرسالة:

«نحن نتزايد بنسبة مدهشة جداً. إننا نلقى حتفنا بالرصاص، ونُشنق ونُسجن، ونطرد من وظائفنا، ونلاقي كل عذاب وتنكيل... إننا نعيش في السجون المظلمة، وفي الفقر المدقع. ونقدّم كل مبلغ نربحه، مما يزيد عن حاجاتنا الضرورية للحزب الذي ننتمي اليه. فإننا لا نذهب إلى السينما، ولا إلى الملاهي، ولا إلى الحفلات، ولا نبني القصور، ولا نقتني السيارات الفخمة، لنوفّر كل ما نستطيع أن نوفّره لنشر مبدأنا. وحياتنا كلها تتّجه إلى هدف واحد، هو نشر مبدإنا. هذا المبدأ هو حياتي، وعملي، وديني، وهوايتي. هو خطيبتي، وزوجتي، وسيّدتي، وطعامي، وشرابي. لأجل هذا المبدأ أعمل في النهار، وبه أحلم في الليل. وهو مبدأ يملك كل حواسي، ينمو ولا يضعف بمرور الزمن. لهذا لا أحتفظ بصداقة، ولا علاقة حب، ولا حديث لا علاقة له بهذه القوة الدافعة المسيطرة على حياتي. وتقديري للناس والكتب والأفكار والأعمال، إنما يقاس بمقدار أثرها في خدمة هذا المبدأ ونشره. وإني لعلى استعداد لأن أذهب في سبيل هذا المبدأ إلى السجن بل إلى الإعدام».

فإن كان «أهل العالم» يكرّسون أنفسهم لقضيّتهم إلى هذا الحد، فكم بالأحرى على المسيحيين أن يكرّسوا أنفسهم، بل أن يسكبوها في ولاء تام مملوء بالحب والفرح، لسيّدهم المجيد. حقاً، إذا كان الرب يسوع يستحق شيئاً فهو يستحق كل شيء. أو كما قال «فندلي»: «فإن كان الايمان المسيحي يستحق أن نؤمن به إطلاقاً، فهو يستحق أن نؤمن به بكل شجاعة وبطولة».

وقال «جايمس ديني»: «إن كان الله حقاً قد أعلن للعالم خلاصه في المسيح، فمن واجب كل مسيحي أن يرفض كل رأي وكل نظرية تنكر هذه الحقيقة أو

تحط من قدرها».

إن الله يريد أناساً يضعون أنفسهم تماماً تحت إمرة الروح القدس وقيادته. قد يظن بعض الناس أنهم قد امتلأوا سلافة أو سكروا بالخمر، والبعض الآخر يعرفون أنهم مسوقون إلى الله بعطش شديد لا يُروى وبحماس متقد لا يُطفأ.

فكل من يريد أن يكون تلميذاً للمسيح عليه أن يملأ قلبه بغيرة وقّادة، وأن يصبو ليتمّم في حياته الوصف الذي ذكره الأسقف «رايل» في كتابه المشهور «المسيحية العملية»:

«يكرّس الرجل المتديّن الغيور نفسه لأمر واحد. فلا يكتفي بأن يقال إنه غيور، محبّ، لا يهادن، دقيق، كليّ التكريس، حار في الروح، بل ليس أمام ناظريه إلا شخص واحد، ثم إنه يهتم بشيء واحد، ويستغرق وَقتَهُ شيء واحد، وهذا الشيء الواحد هو إرضاء الله - فسواء عاش أو مات، سواء صحّ أو مَرِض، وسواء اغتنى أو افتقر، وسواء أرضى الناس أو أغضبهم، وسواء أصابه مدح أو ذمّ، وسواء أُكرم أو أُهين، فلا يهمّ الرجل الغيور شيء من هذا. فإن احترق وفنيَ فهو قانع راض، شاعر أنه مصباح قد صُنع ليحترق، وإن احترق وفني باحتراقه فإنما هو يتمّم العمل الذي لأجله أوجده الله. وإن لم يستطع أن يبشّر، أو يعمل، أو يعطي، فهو يصرخ وينتحب ويصلي. أجل، وإن كان فقيراً معدماً، أو مريضاً ملازماً للفراش، فهو، حتى في هذه الحالات، يعرقل دواليب الخطية، وذلك بصلواته المستمرة ضد الخطية. وإذا لم يستطع أن يحارب في الوادي مع يشوع، فسيعمل عمل موسى وهرون وحور على الجبل (خروج١٧:٩-١٣). وإن كفّ، هو لا يسكت ولا يدع الرب يسكت، حتى تأتي المعونة من باب آخر، ويتمم العمل بشخص آخر. هذا ما أقصده عندما أتكلم عن الغيرة في الدين».

الفصل السادس

الايمان

تتوقف التلمذه على الايمان الصادق العميق بالله. فمن اراد أن يقوم بأعمال عظيمة جبارة لله، عليه أن يثق فيه ثقة تامة. فإن جميع رجال الله العظام كانوا دائماً وأبداً أناساً ضعفاء قاموا بأعمال عظيمه لله لأنهم اعتمدوا على الله المساند لهم، كما قال «**هدسون تايلور**»: «يؤسس الأيمان الحقيقي دائماً على وعد من مواعيد الله أو على فقرة من الكتاب المقدس. هذا أمر على جانب كبير من الأهميّة، فالمؤمن يقرأ أو يسمع وعداً ما من الله، فيأخذ الروح القدس ذلك الوعد ويطبّقه في قلبه وضميره، فيدرك المسيحي أن الله قد كلّمه مباشرة. وبثقة تامة في الذي وعد، وهو أهل لكل ثقة، يحسب المؤمن أن الوعد مؤكّد ومضمون كما لو كان قد تمّ فعلاً، ولو أنه يبدو مستحيلاً من وجهة النظر الطبيعية».

ولعلّ المؤمن يتأثّر بوصيّة وليس بوعد، ولا فرق بين الحالتين. فأن كان الله يأمر، فهو يُمَكّنُنَا من إتمام الأمر. فإذا أمر الربُّ بطرسَ أن يمشي على الماء، فلبطرس أن يتأكد من نوال القوة التي يحتاج اليها لذلك (متى١٤:١٨). وهكذا هي حالتنا؛ فإذا أمرنا الرب بأن نكرز بالإنجيل للخليقة كلها، فلنا أن نتأكد من نوال النعمة التي نحتاج اليها لذلك.

عمل الإيمان لا يتمّ في دائرة المُمكن. لا مجد لله في إتمام ما يمكن إتمامه بشرياً، إنّما الإيمان يبدأ حيث تنتهي قوة الإنسان، أو كما قال «**جورج مولر**»: «إن دائرة الايمان تبدأ حيث تنتهي الممكنات، وحيث يفشل العيان والحث». يقول الإيمان: «أستطيع أن أتممّ كل مستحيل». وقد قال «**ماكنتوش**»: «الإيمان يُنزل الله إلى دائرة العمل، ولذلك لا يصعب عليه شيء، لا بل هو يهزأ بالمستحيلات. يرى الإيمان أن الله يحلّ كل مشاكل وكل صعوبة. إنه يضع كل أمر أمام الله. فلا

يهمّ الإيمان في كثير أو قليل إن كان المطلوب ستمائة ألف ليرة أو ستمائة مليون، فإنه يعرف أن الله قادر على كل شيء وهو يسدّ كل أعوازنا. أما عدم الإيمان فيسأل: «كيف يمكن هذا، وكيف يمكن ذاك؟». فهو مملوء تساؤلات. أما الإيمان فله الجواب الأعظم والأوحد لألف كيف وكيف، وذلك الجواب هو الله.

كان يستحيل بشرياً، أن ينجب ابراهيم وسارة إبناً، لكن الله وعد، ويستحيل عليه - بالنسبة لإبراهيم - أن يكذب. "فَهُوَ عَلَى خِلاَفِ الرَّجَاءِ آمَنَ عَلَى الرَّجَاءِ لِكَيْ يَصِيرَ أَباً لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ كَمَا قِيلَ: «هَكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ ضَعِيفاً فِي الإِيمَانِ لَمْ يَعْتَبِرْ جَسَدَهُ - وَهُوَ قَدْ صَارَ مُمَاتاً إِذْ كَانَ ابْنَ نَحْوِ مِئَةِ سَنَةٍ - وَلاَ مُمَاتِيَّةَ مُسْتَوْدَعِ سَارَةَ. وَلاَ بِعَدَمِ إِيمَانٍ ارْتَابَ فِي وَعْدِ اللهِ بَلْ تَقَوَّى بِالإِيمَانِ مُعْطِياً مَجْداً لِلَّهِ. وَتَيَقَّنَ أَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ هُوَ قَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَهُ أَيْضاً». (رومية٤:١٨-٢١).

إن الإيمان القوي يرى الوعد، ويتطلع إلى الله وحده ويهزأ بالصعوبات، ويصيح قائلاً: «لا بدّ أن يتمّ».

إنه إله تخصّص في إجراء المستحيلات (لوقا١:٣٧) لأنه «هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى الرَّبِّ شَيْءٌ؟» (تكوين١٨:١٤)، كلا! بل إن «غَيْرُ الْمُسْتَطَاعِ عِنْدَ النَّاسِ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ».

يتمسك الإيمان بالوعد ويقول: «فَكُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ» (مرقس٩:٢٣) ويهتف مع بولس قائلاً: «أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي» (فيلبي٤:١٣).

«الشك يرى الصعوبات، أما الإيمان فيرى الطريق، الشك يحدق إلى الليل، أما الإيمان فيرى النهار، والشك يخاف أن يخطو خطوة، أما الإيمان فيحلّق في الأعالي، الشك يتساءل: من يصدق هذا؟ فيجيب الإيمان: **أنا**».

ولأن الإيمان يعني خرق الأنظمة الطبيعية وتصديق الله لذلك يبدو غير

معقول. ليس من المعقول أن يخرج ابراهيم وهو لا يعلم أين يتوجّه. ولكنه صدّق وعد الله وأطاع أمره (أنظر عبرانيين١١:٨). وليس من الذكاء أن يهجم يشوع على أريحا دون أسلحة قتّالة (يشوع٦:١-٢٠). فأهل العالم يضحكون على مثل هذه المغامرات الجنونية، ولكنها أثبتت معقوليّتها وتمّمت مأموريّتها.

والحق يقال أن الإيمان هو عين المعقول. أليس من الصواب أن يثق المخلوق في خالقة؟ هل من الجنون أن نؤمن بمن لا يمكن أن يكذب أو يتخلّى أو يخدع؟ الثقة في الله هي الأمر المعقول، المنطقي، الذي يمكن أن يفعله الإنسان. فهو ليس قفزة في الظلام بل إنه يتطلّب أقوى تأكيد وأعظم برهان، فيجد هذا التأكيد وهذا البرهان في كلمة الله التي لا تسقط. وما من أحد وضع ثقتة في الله وخاب قطّ، ولن يخيب أحد يفعل ذلك. فالإيمان بالله لا ينطوي على أيّة مخاطرات على الإطلاق.

الإيمان يجد الله، ويوليه مكانه الصحيح، لأنه أهل للثقة التامة دون سواه. أما عدم الإيمان فيهين الله، إذ يتّهمه بالكذب (١يوحنا٥:١٠)، ويحدّد الإله القدّوس (مزمور٧٨:٤١). والإيمان يضع الإنسان أيضاً في مكانه الصحيح كمعتَمِد على الله ومتّضِع أمامه، ينحني فوق التراب أمام الرب سيد الجميع.

الإيمان عكس العيان. يذكّرنا بولس الرسول بقوله: «لأَنَّنَا بِالإِيمَانِ نَسْلُكُ لاَ بِالْعَيَانِ» (٢كورنثوس٥:٧). والسلوك بالعيان معناه الاعتماد على وسائل منظورة والإستعانة بها، وتدبير احتياطات للمستقبل واستخدام المهارة البشرية في عمل الضمانات ضد الأخطار غير المنظورة.

أما السلوك بالإيمان فهو عكس ذلك. هو الإعتماد على الله وحده في كل لحظة. هو اتكال مستمر على الرب. فالجسد ينفر من الإتكال الكامل على اله غير منظور، ويحاول أن يجد له وسادة يستند اليها ضد الخسائر المحتملة، وفي عدم استقراره يتعرّض للانهيارات العصبية، لكن الإيمان يقفز بخطى ثابتة إلى

الأمام إطاعة لكلمة الله، ويسمو فوق الظروف، واثقاً أن الرب يهتم بالإحتياجات كلها.

ولا بدّ لله أن يجرّب إيمان كل من تلاميذه فيجد - عاجلاً أم آجلاً - أن موارده البشرية قد بلغت نهايتها وانقطعت تماماً. وفي ضيقه المرير يحاول أن يلجأ إلى رفقائه وأصدقائه. وأما أن يثق بالرب حقاً، فيتطلّع إلى الرب وحده.

إنّي أهين الرب وأخدعه إذا أعلنت احتياجاتي لأصدقائي، مباشرة أو غير مباشرة، منتظراً معونتهم. فكأني أصرّح أن الله قد تركني وخيّب آمالي، فأكون بذلك قد حِدت عن الينبوع الحي لألتجيء إلى آبار مشققة، ولأضع نفسي بين يدي المخلوق دون الخالق، فأخسر بركات الرب وعطاياه وأسلبه مجده وعظمته.

يجدر بكل تلميذ أن يطلب زيادة إيمانه (لوقا١٧:٥). فعليه بعد وضع ثقته في المسيح أن يسعى إلى مدّها إلى سائر نواحي الحياة وإخضاعها لسلطانه وأمره. فيما هو يواجه المرض، والتجارب، والمآسي والأحزان، يتسنّى له أن يعرف الله بطريقة جديدة واختبار أعمق، وبهذا يتقوّى إيمانه. وحينئذ «لِنَعْرِفْ فَلْنَتَتَبَّعْ لِنَعْرِفَ الرَّبَّ» (هوشع٦:٣) وكلما زادت معرفته في قوة الله وقدرتة، تاق إلى مزيد من الثقة فيه للتغلّب على أمور مستعصية.

وحيث أن الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله، فإن أقصى ما يتمنّاه التلميذ ينبغي أن يكون إشباع نفسه بالكتاب المقدس، فيقرأه ويدرسه ويحفظه، ويلهج فيه نهاراً وليلاً: فهو خارطته ودليله، ومرشده وعزاؤه، ومصباحه ونوره.

وفي حياة الإيمان يوجد دائماً مجال للتقدم. فعندما ندرس ما حقّقه الإيمان، ندرك أنّنا أطفال نلهو على شاطىء محيط لا نهاية له ولا حدود.

وقد ذكرت بعض أعمال الإيمان الجبّارة في عبرانيين١١، ووصلت إلى الذروة في الأعداد ٣٢-٤٠ «وَمَاذَا أَقُولُ أَيْضاً؟ لأَنَّهُ يُعْوِزُنِي الْوَقْتُ إِنْ أَخْبَرْتُ عَنْ جِدْعُونَ،

وَبَارَاقَ، وَشَمْشُونَ، وَيَفْتَاحَ، وَدَاوُدَ، وَصَمُوئِيلَ، وَالأَنْبِيَاءِ، الَّذِينَ بِالإِيمَانِ قَهَرُوا مَمَالِكَ، صَنَعُوا بِرّاً، نَالُوا مَوَاعِيدَ، سَدُّوا أَفْوَاهَ أُسُودٍ، أَطْفَأُوا قُوَّةَ النَّارِ، نَجَوْا مِنْ حَدِّ السَّيْفِ، تَقَوُّوا مِنْ ضُعْفٍ، صَارُوا أَشِدَّاءَ فِي الْحَرْبِ، هَزَمُوا جُيُوشَ غُرَبَاءَ، أَخَذَتْ نِسَاءٌ أَمْوَاتَهُنَّ بِقِيَامَةٍ. وَآخَرُونَ عُذِّبُوا وَلَمْ يَقْبَلُوا النَّجَاةَ لِكَيْ يَنَالُوا قِيَامَةً أَفْضَلَ. وَآخَرُونَ تَجَرَّبُوا فِي هُزُءٍ وَجَلْدٍ، ثُمَّ فِي قُيُودٍ أَيْضاً وَحَبْسٍ. رُجِمُوا، نُشِرُوا، جُرِّبُوا، مَاتُوا قَتْلاً بِالسَّيْفِ، طَافُوا فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ، وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقّاً لَهُمْ. تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وَجِبَالٍ وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ. فَهؤُلاَءِ كُلُّهُمْ، مَشْهُوداً لَهُمْ بِالإِيمَانِ، لَمْ يَنَالُوا الْمَوْعِدَ، إِذْ سَبَقَ اللهُ فَنَظَرَ لَنَا شَيْئاً أَفْضَلَ، لِكَيْ لاَ يُكْمَلُوا بِدُونِنَا».

وفي الختام نقول أننا ذكرنا، في ما سبق، أن العالم يعتبر تلميذ المسيح الذي يسلك بالإيمان حالماً أو متعصباً، بل قد يعتبره المسيحيون الآخرون كذلك. ومن المستحسن أن نقتبس كلمة «**ماكنتوش**» في هذا الصدد: «إن الإيمان الذي يمكّن الإنسان من السير مع الله يمكّنه أيضاً من تقييم أفكار الناس وتقديرها».

الفصل السابع

الصلاة

الكتاب الوحيد الكافي الذي عالج موضوع الصلاة في أي عصر من العصور هو الكتاب المقدس. أما كل ما كُتب عنها في غير الكتاب المقدس فيشعِرُنا بأن هناك أعماقاً لا يمكن الوصول اليها، وأعالي في السبيل لبلوغها ولا نريد في هذا الكتيّب الصغير أن نحسّن أو نزيد على ما كتبه الآخرون، بل كل ما نستطيعه هو أن نلخّص بعض المبادىء الهامة للصلاة، ولا سيّما تلك المبادىء التي تتصل بالتلمذة الحقيقية.

١. أفضل الصلوات هي التي تصدر عن حاجة داخلية قوية ملحّة. وكم اختبرنا جميعاً صدق هذا في حياتنا. فعندما تكون حياتنا هادئة ساكنة، تكون صلاتنا فاترة وضعيفة. ولكن عندما نجوز بأزمة، أو نُواجه خطراً أو أن نقاسي مرضاً بالغ الخطورة، أو نجتاز في حزن مرير، تصبح صلواتنا حارة وحيويه نشيطة. قال أحدهم: «مَن أراد أن يدخل سهمه في كبد السماء عليه أن يطلقه من قوس منحنٍ تمام الإنحناء». وكذلك فالقلب المنحني والمنكسر والشعور بالضعف والحاجة يغمران الصلوات المؤثرة الصادقة التي تصل إلى أذن الله. ونحن مع الأسف، ننفق أفضل أيام حياتنا في الجهاد لتأمين المستقبل والحصول على جميع ضروريات الحياة وكمالياتها. وبالوسائل المتعدده البشرية نحصل على ثروة، ونكدّس الأموال، حتى لا نشعر بحاجة لشىء. ثم نسائل أنفسنا بعد ذلك: «لِمَ يا ترُى صلواتنا ضعيفة وفاترة؟ ولماذا لا تنزل نار من السماء؟ لو كنّا نسلك حقاً بالإيمان لا بالعيان، لتفجّرَت صلواتنا وتأثّرت بها حياتنا».

٢. من شروط الصلاة الناجحة أن «نَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صَادِقٍ» (عبرانيين١٠:٢٢).

وهذا يرينا وجوب الإخلاص والصدق أمام الرب. فنطرد الرياء، ولا نسأل الله أبداً شيئاً في مقدورنا نحن أن نفعله مثلاً، لا نسأل الله أن يدبّر مبلغاً معيّناً من المال لمشروع مسيحي إن كان عندنا نحن فائض من المال يمكن استخدامه في هذا المشروع. فإن الله لا يخدع ولا يؤخذ على حين غرة. وهو لا يجيب صلاة سبق أن أجابها، ونحن رفضنا ذلك الجواب. ولا يجوز أن نصلّي إلى الله ليرسل عمّالاً لأعمال نأبى نحن القيام بها. كم من الصلوات رُفعت طالبة اهتداء البعيدين، غير المسيحيين من بوذيين وهندوسيين ومسلمين ووثنيين وغيرهم! ولو أن جميع أولئك المصلّين انطلقوا بإرشاد الرب إلى هؤلاء الناس لاستخدمهم المسيح خير استخدام، ولتغيّر تاريخ الإرساليات المسيحية، وأسفر عن أطيب النتائج المشجعة.

٣. لنصلّ ببساطة وإيمان أكيد دون ريب. ولا نشغل أنفسنا بالمشكلات اللآهوتية المتعلقة بالصلاة، كي لا تتبلد حواسنا. ولندع علماء اللآهوت يحلّون بلآهوتهم المشاكل اللآهوتية المتعلقة بالصلاة، أما نحن، فكمؤمنين بسطاء، علينا أن نلجّ أبواب السماء ونقرَعُها بثقة البنين. قال «**اغسطينوس**»: «يغتصب البسطاء السماء ببساطتهم، أما نحن فبكل علمنا، لا نسمو فوق اللحم والدم».

٤. إن اردت أن تحصل على قوة في الصلاة فلا تحجز شيئاً ولا تمنع شيئاً، بل سلّم الكل تمام التسليم للمسيح، كُن له بجملتك. اترك كل شيء واتبع المخلّص. الصلاة المشفوعة بالتكريس التام المعترفة بسيادة المسيح وملكه الشامل، هي الصلاة التي يستجيبها الله.

٥. يقدّر الله الصلاة التي تكلّفنا شيئاً. فالّذين يستيقظون باكراً، ينعمون بشركة مع ذلك الذي في الصبح باكراً جداً قام ومضى إلى موضع خلاء، واختلى مع ابيه منتظراً توجيهاته لليوم الذي امامه. وكذلك الّذين بملء ارادتهم

يصرفون الليل كله، في الصلاة ينعمون بقوة الله التي لا يمكن إنكارها. أما الصلاة التي لا تكلّف شيئاً، لا تساوي شيئاً لأنّها «منتوجات» مسيحية رخيصة.

كثيراً ما يربط العهد الجديد بين الصلاة والصوم. فالامتناع عن الطعام يمكن أن يكون مساعداً كبيراً في الرياضات والتدريبات الروحية. وهو من الناحية البشرية يساعد على الصفاء والتركيز وحدّة الذهن. ومن الناحية الإلهية يبدو أن الرب يسرّ خصّيصاً بالصلاة التي نفضّلها على الطعام الضروري.

٦. تجنّب الصلاة الأنانية. قال يعقوب في رسالته: «تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيّاً لِكَيْ تُنْفِقُوا فِي لَذَّاتِكُمْ» (يعقوب٤:٣). إن الثقل الرئيسي في صلواتنا يجب أن يكون الاهتمام بالرب. يجب أن نصلي أولاً: «لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ». ثمّ نصلّي بعد ذلك قائلين: «خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ».

٧. يجب أن نكرم الله بأن نطلب منه طلبات عظيمة، لأنه إله عظيم. ليكن لنا إيمان ينتظر أشياء عظيمة من الله. فكم أحزناّ الرب بطلباتنا الصغيرة التافهة. كم قنعنا بانتصارات ضئيلة، ورضينا بنتائج حقيرة، وأشواق ضعيفة، لا تمُتّ إلى الأعالي بصِلَةٍ، لذلك لم يرَ الذين حولنا أن إلهنا إله عظيم، لأننا لم نطبّق تعاليمه وإرادته في حياتنا كما يجب ولذلك عجزنا عن أن نمجّده أمام الذين لا يعرفونه، فلم نُثِرهُم للتساؤل عن سرّ القوة التي تعمل فينا، وبذلك لم يمجّدوا الله فينا.

٨. علينا أن نصلّي حسب مشيئة الله، عندئذ نثق أنّه يسمعنا ويجيبنا «وَهَذِهِ هِيَ الثِّقَةُ الَّتِي لَنَا عِنْدَهُ: أَنَّهُ إِنْ طَلَبْنَا شَيْئاً حَسَبَ مَشِيئَتِهِ يَسْمَعُ لَنَا. وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ مَهْمَا طَلَبْنَا يَسْمَعُ لَنَا، نَعْلَمُ أَنَّ لَنَا الطِّلْبَاتِ

الَّتِي طَلَبْنَاهَا مِنْهُ» (١يوحنا١٤:٥و١٥). الصلاة بأسم الرب يسوع معناها أن نصلّي حسب إرادته. فعندما نصلّي بأسمه فكأنّه هو يصلّي ويقدّم الطلبة إلى الله أبيه «وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتَمَجَّدَ الآبُ بِالابْنِ. إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئاً بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ» (يوحنا١٤:١٣و١٤). «وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لاَ تَسْأَلُونَنِي شَيْئاً. اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ مِنَ الآبِ بِاسْمِي يُعْطِيكُمْ. إِلَى الآنَ لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئاً بِاسْمِي. اُطْلُبُوا تَأْخُذُوا لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً» (يوحنا١٦:٢٣و٢٤). «وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضاً: إِنِ اتَّفَقَ اثْنَانِ مِنْكُمْ عَلَى الأَرْضِ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَطْلُبَانه فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُمَا مِنْ قِبَلِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسَطِهِمْ» (متى١٨:١٩و٢٠). إن كنّا نطلب بأسمه، ونصلّي بأسمه، فهذا يعني أنه يمسك بأيدينا ويجثو إلى جانبنا فتجري إرادته فينا ويرشدنا إلى ماذا نطلب. هذا معناه أن نصلّي باسمه، فأسمه كناية عن شخصه وطبيعته، وبالتالي، فالصلاة بأسم المسيح معناها أننا نصلي حسب إرادته المباركة. هل يمكن أن أطلب شراً باسم ابن الله؟ إذاً، صلاتي يجب أن تكون تعبيراً صادقاً عن طبيعته. هل أستطيع أن أفعل ذلك في الصلاة؟ يجب أن تظهر في صلواتنا قيادة الروح القدس، وفكر ورغبات المسيح فينا ولأجلنا. ليت الرب يعلّمنا أن نصلّي بأسمه وحسب مشيئته، وليس فقط أن نختم الصلاة بهذه العبارة: «نطلب هذا بأسم المسيح ربّنا المبارك» فهذا لا يكفي، فإن الصلاة كلّها يجب أن تتشبّع وتتشرّب باسم المسيح المبارك، وأن تكون حسب ما تقتضيه طبيعة هذا الاسم.

٩. إذا أردنا أن ننال الإجابة عن صلواتنا، فعلينا أن نتحاسب مع الله يوماً بعد يوم، أي يجب أن نعترف بخطايانا ونتركها حالما نشعر أنها دَخَلَت إلى حياتنا «إِنْ رَاعَيْتُ إِثْماً فِي قَلْبِي لاَ يَسْتَمِعُ لِيَ الرَّبُّ» (مزمور٦٦:١٨). ويجب أن نثبُت في المسيح «إِنْ ثَبَتُّمْ فِيَّ وَثَبَتَ كَلاَمِي فِيكُمْ تَطْلُبُونَ مَا

تُرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ» (يوحنا١٥:٧). فالشخص الذي يثبت في المسيح، يمكث بالقرب منه ويمتلىء من معرفة إرادته، يستطيع أن يصلّي بذهنه واثقاً من الجواب. والمكوث بقرب الرب يدعونا إلى إطاعة وصاياه طاعة عمياء، بل يأمرنا بها «وَمَهْمَا سَأَلْنَا نَنَالُ مِنْهُ، لأَنَّنَا نَحْفَظُ وَصَايَاهُ، وَنَعْمَلُ الأَعْمَالَ الْمَرْضِيَّةَ أَمَامَهُ» (١يوحنا٣:٢٠). وإن أردنا أن تُسمع صلواتنا وتُستجاب فعلينا أن نضع أنفسنا بين يديه لتكون مرضية أمامه.

١٠. لا يجوز أن نكتفي بالصلاة في أوقات معيّنة محدوده أثناء اليوم، بل علينا أن ننمّي في أنفسنا روح الصلاة، فننظر إلى الرب بلا إنقطاع ونحن نمشي في الشارع أو نسوق السيارة أو نشتغل في المكتب أو في البيت. وقد قدّم لنا نحميا مثالاً عن هذه الصلاة الدائمة التلقائية (نحميا٢:٤) فما أحسن أن نسكن في ستر العلي بدلاً من أن تكون لنا زيارات متقطعة اليه!

١١. أخيراً، صلاة محدّدة، وإلا فكيف ننتظر الإجابة إن لم يكن الطلب محدداً ومعيّناً.

إن الصلاة امتيازاً عجيباً إذ بها نستطيع - كما قال «**هدسون تايلور**» - أن نحرّك الإنسان بواسطة الله. قال «**جويت**» : «ما أعظم القوّة التي تضعها الصلاة بين أيدينا. بواسطتها نقوم بمعجزات عظيمة. فإننا نستطيع أن نحمل نور الشمس إلى الأماكن المظلمة الباردة، وأن نضيء مصباح الرجاء في سجن اليأس، وأن نحلّ سلاسل السجناء وقيودهم، وأن نحمل لمحات وومضات وخواطر عن بيتنا السماوي إلى من يجهلونه، وأن ننعش الفاترين الضعفاء بنسمات سماوية منعشة ولو كانوا يعملون عبر البحار. هذه هي بعض معجزات الصلاة».

وشهد أيضاً كاتب يدعى «**ونهام**» فقال: «إن الكرازة موهبة نادرة، لكن الصلاة أندر. الكرازة كالسيف نستخدمه في محيطنا مع الذين هم من حولنا، ولكن لا يمكنه أن يصل إلى البعيدين. أما الصلاة فمثل بندقية بعيدة المدى،

نصل بها إلى الأصقاع البعيدة، كما أنها تصيب الأماكن القريبة».

«فالصلاة، يا الهي، تغيّر شعور نفسي وتفكير ذهني.
إن ساعة في حضرتك تزيل حملي الثقيل وهمّي المضني.
أجثو أمامك ضعيفاً حقيراً، وأقف جبّاراً قويّاً،
لِمَ أثقّل نفسي بالهموم وأحنِها بالأنّات
وأنت بقربي تشدّد وتعين يا إله البركات؟
أُنفخ فيَّ روح الصلاة فأذلّل كل العقبات
وأنتصرُ على الهموم والكروب والسقطات!
فيك تجد نفسي القوة والسرور والبهجة
أنا لك، ربّي، وبين يديك.»

الفصل الثامن

الحرب

لا يستطيع أحد أن يقرأ العهد الجديد، ولو بصورة عَرَضِيّة، دون أن يدرك أن برنامج المسيح على الارض يوصف وكأنه حرب ونضال. فأن المسيحية الحقيقية أبعد ما تكون عن المسيحية العصرية التي هي أشبه بتسليات «أرغن المتسولين»، وهي في حقيقتها تختلف كل الاختلاف عن عيشة الترف وحياة اللذة التي تنتشر بين الناس اليوم، فإنها بالأحرى جهاد حتى الموت، ونضال لا ينقطع ضد قوات الجحيم. ولا يستحق تلميذ أن يكون ملح الأرض ما لم يدرك أن المعركة قد نشبت وأنه لا يمكن إخمادها.

ويتحتّم أن تكون هناك وحدة في الحرب. فلا وقت للمنازعات والمماحكات الصغيرة والغيرة الحزبية، والولاء المنقسم: «كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تَخْرَبُ وَبَيْتٍ مُنْقَسِمٍ عَلَى بَيْتٍ يَسْقُطُ». من أجل هذا وَجَبَ على جنود المسيح أن يتّحدوا، والتواضع هو السبيل إلى الوحدة. هذا ما نتعلّمه من الإصحاح الثاني من رسالة فيلبي. فمن المستحيل أن يكون هناك نزاع مع إنسان متواضع حقاً. ولا بدّ من إثنين حتى يقوم نزاع. والنزاع أو الخصام يأتي من الكبرياء. وحيثما انتفت الكبرياء انتفي النزاع.

تتطلّب حياة الحرب الزهد والتقشف والتضحية. ولا بدّ للانتصار من التضحية. لذلك علينا نحن المسيحيين أن نضحّي بكثير من نفقاتنا، فنستخدم مواردنا في جهادنا وحربنا. قليلون استطاعوا أن يروا هذه الحقيقة بجلاء كما رآها تلميذ المسيح من الشباب المتجددين حديثاً اسمه «ر.م». كان هذا الشاب رئيس الصف الاول في مدرسة مسيحية. وفي أثناء رئاسته هالتْهُ النفقات التي اعتاد إنفاقها على فرق الصف، وعلى الهدايا التي تُمنح للصف في بعض المناسبات. ولكن هذا الشاب

إذ رأى أن هذه النفقات لا تؤول إلى تقدم الإنجيل، استقال من وظيفته كرئيس للصف، ووزع على زملائه في يوم استقالته خطاباً هذا نصّه:

«**أيها الزملاء الأعزاء،**

عندما بحثت في النفقات والهدايا المعتاد توزيعها على فرق الصف أمام المجلس، رأيت لزاماً عليّ كرئيس للصف أن اتّخذ موقفاً مسيحيًا إزاء هذه الأمور.

أعتقد أنّنا نجد فرحاً أعظم لو بذلنا أنفسنا، وأموالنا للمسيح وللآخرين. فنجد بذلك صدق قوله: «مَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا».

إن إنفاق المال والوقت على هذه الأشياء لا يأتي بنتائج مباشرة لغير المؤمنين، فنحن عن طريقها لا نشهد ولا نبني كنيسة الله، وهذا يبدو مناقضاً لمبدأنا، لا سيّما والحقائق المؤلمة تؤكد أن ٧٠٠٠ شخص يموتون يومياً من الجوع، ونحو نصف سكان العالم لم يسمعوا قطّ عن رجاء الإنسان الوحيد. أَلَيسَ من الأفضل أن نستخدم المال في سبيل تمجيد الله ونشر الإنجيل بين سكان العالم الّذين لم يسمعوا قط عن يسوع المسيح وبين البيوت الكثيرة في محيطنا بدلاً أن ننفقه على حفلاتنا وملذّاتنا التي تستنفذ وقتنا وبلا طائل؟

وبما أننى أعلم يقيناً أن هنالك حاجات ملحّة وفرصاً كثيرة سانحة يمكن أن تنفق فيها الأموال لنشر ملكوت الرب يسوع ومجده عن طريق خدمة الآخرين في بلادنا وخارجها، فمن المستحيل عليّ أن أسمح - بصفتي رئيس الصف - بأن ننفق أموال الصف على أنفسنا دون مبرّر.

فلو كنت أحد هؤلاء المحتاجين المعوزين، لرجوت كل الذين بإمكانهم مساعدتي أن يبذلوا ما في طاقتهم لسدّ أعوازي وإفساح المجال لي للتمتع بإنجيل المسيح وخلاصه. «وَكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهِمْ هَكَذَا». «وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجاً، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ

مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ؟». لذلك فإني بروح المحبة والصلاة، طالباً أن تروا أن الرب يسوع أعطى كل ما له (٢كورنثوس٨:٩) أتشرّف بتقديم استقالتي لكم كرئيس للصف لسنة ١٩٦٣.

زميلكم بالرب يسوع ر. م.

الألم ملازم للحرب. فإذا كان الشباب اليوم يريدون أن يبذلوا حياتهم عن طيب خاطر في سبيل وطنهم، فكم بالحري يجب على المسيحيين أن يكونوا أكثر استعداداً لبذل حياتهم عن طيب خاطر لأجل المسيح ولأجل الإنجيل! لأن الإيمان الذي لا يكلّف شيئاً لا يساوي شيئاً. وإن كنّا نهتم بالرب يسوع، فيجب أن يكون هو الكل في الكل بالنسبة لنا. فلا يؤخّرنا عن خدمته خوف من خطر، ولا محبة ذاتية ولا عناية جسدية.

لما أراد بولس الرسول أن يدافع عن رسالته ضد المنتقدين لم يشر إلى مركزه العائلي ولا إلى ثقافته ولا إلى امتيازاته العالمية، بل اشار بالحري إلى آلامه لأجل الرب يسوع المسيح :

«أَهُمْ خُدَّامُ الْمَسِيحِ؟ أَقُولُ كَمُخْتَلِّ الْعَقْلِ: فَأَنَا أَفْضَلُ. فِي الأَتْعَابِ أَكْثَرُ. فِي الضَّرَبَاتِ أَوْفَرُ. فِي السُّجُونِ أَكْثَرُ. فِي الْمِيتَاتِ مِرَاراً كَثِيرَةً. مِنَ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلاَّ وَاحِدَةً. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ضُرِبْتُ بِالْعِصِيِّ. مَرَّةً رُجِمْتُ. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ انْكَسَرَتْ بِيَ السَّفِينَةُ. لَيْلاً وَنَهَاراً قَضَيْتُ فِي الْعُمْقِ. بِأَسْفَارٍ مِرَاراً كَثِيرَةً. بِأَخْطَارِ سُيُولٍ. بِأَخْطَارِ لُصُوصٍ. بِأَخْطَارٍ مِنْ جِنْسِي. بِأَخْطَارٍ مِنَ الأُمَمِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْمَدِينَةِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْبَرِّيَّةِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْبَحْرِ. بِأَخْطَارٍ مِنْ إِخْوَةٍ كَذَبَةٍ. فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ. فِي أَسْهَارٍ مِرَاراً كَثِيرَةً. فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ. فِي أَصْوَامٍ مِرَاراً كَثِيرَةً. فِي بَرْدٍ وَعُرْيٍ. عَدَا مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ: التَّرَاكُمُ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ. الاهْتِمَامُ بِجَمِيعِ الْكَنَائِسِ» (٢كورنثوس١١:٢٣-٢٨).

وفي مناشدته النبيلة وتحدّيه السامي لإبنه تيموثاوس حضّه قائلاً: «فَاشْتَرِكْ أَنْتَ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ كَجُنْدِيٍّ صَالِحٍ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ». (٢تيموثاوس٢:٣).

الطاعة العمياء هي إحدى متطلّبات الحرب. فالجندى يطيع أوامر قائده دون استفهام أو تأجيل. أفلا يجدر بالرب يسوع أن يطلبها فى أتباعه. ألا يجدر بخالق العالم ومخلّصه أن ينتظر طاعة عمياء، من أتباعه فيذهبون أنّى يرسلهم دون تأجيل أو تفضيل؟

وتتطلّب الحرب مهارة فى استخدام الأسلحة. ومن أسلحة المسيحي هي الصلاة وكلمة الله. فعليه أن يواظب على الصلاة الحارة بلجاجة لأنها الوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تهدم حصون العدو. وعليه أيضاً أن يكون ماهراً بارعاً في استخدام سيف الروح الذي هو كلمة الله. فالعدو يستخدم كل حيلة ممكنة ليسقط ذلك السيف من يده، فيلقي عليه ظلاً من الشكوك في وحي الكتاب المقدس، ويشير إليه بما هنالك من مناقضات مزعومة، ويغرق بحجج مناقضة من العلم والفلسفة والتقاليد البشرية ليصدّه عن الإيمان. لكن على جندي المسيح أن يقف راسخاً في أساسه، شاهراً سلاحه القاطع ليستخدمه في وقت مناسب، أو غير مناسب.

تبدو أسلحة المسيحي الحربية ضعيفة وغير لائقة في نظر أهل العالم. فالخطة التي استخدمها يشوع في الإنتصار على اريحا تبدو غبيّة في نظر القادة العسكريين اليوم. وجيش جدعون الصغير يثير كثيراً من الهزء والسخرية. وماذا نقول في مقلاع داود، ومنساس البقر في يد شمجر، وجيش الله الصغير ممن يحسبهم أهل العالم من الأغبياء على مر العصور؟ الذهن الروحي يعرف أن الله لا تهمّه ضخامة المدفعيات، لكنه بالحري يجب أن يستخدم الضعفاء والفقراء والمزدرى بهم في هذا العالم، يمجّد نفسه بواستطهم.

والحرب تتطلّب أيضاً معرفة العدو واستراتيّجيته. وهكذا هي حالة الحرب المسيحية: «فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَم وَلَحْم، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَع السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَم، عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ» (افسس٦:١٢). ونحن نعلم أنّ «الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ! فَلَيْسَ عَظِيماً إِنْ كَانَ خُدَّامُهُ أَيْضاً يُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ كَخُدَّامٍ لِلْبِرِّ. الَّذِينَ نِهَايَتُهُمْ تَكُونُ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ» (٢كورنتوس١١:١٤و١٥). ويعرفُ الجندي المسيحي المدرّب أن أمرّ مقاوميه هم قادة الدين. لا يقاومه السكّير، أو اللص، أو الزانية، بل خادم الدين. أما سَمَّرَ قادة الدين مسيح الله على الصليب، أما اضطهدوا الكنيسة الأولى، أما لاقى بولس الرسول أشدّ الهجمات الوحشية على أيدي الذين اعترفوا بأنهم خدّام الله. هذا ما حدث على مرّ السنين، فإن خدّام الشيطان يغيّرون شكلهم إلى خدّام للبرِّ، يتحدّثون بلغة الدين، يلبسون ثياب الدين، يعلّمون بتقوى وورع، لكن قلوبهم ملأى بغضاً للمسيح وللإنجيل.

والحرب تتطلّب تركيز لا تشتيت فيه، لأنه «لَيْسَ أَحَدٌ وَهُوَ يَتَجَنَّدُ يَرْتَبِكُ بِأَعْمَالِ الْحَيَاةِ لِكَيْ يُرْضِيَ مَنْ جَنَّدَهُ» (٢تيموثاوس٢:٤). وكذلك تلميذ المسيح لا يتساهل في أيّ شيء يحول بينه وبين التكريس التام للرب يسوع المسيح. فهو يصمد جامداً دون أن يعثر يقف راسخاً ثابتاً، ولكن ضمن حدود اللياقة والأدب، له هدف واحد، يستنفذ في سبيله كل حماسه وقواه، ويضحّي لأجله بكل غالٍ وثمين.

أما الشجاعة فضرورية جداً لمواجهة الخطر. «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ احْمِلُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشِّرِّيرِ، وَبَعْدَ أَنْ تُتَمِّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَثْبُتُوا» (افسس٦:١٣). يذكر أن الجندي المسيحي (افسس٦:١٣-١٨) لا يرتدي درعاً على ظهره، لأنه لا مكان للتقهقر والانسحاب. ولماذا الانسحاب؟ ما دام «وَلَكِنَّنَا فِي هَذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ إِنْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا»، فلا يقدر أن يتغلّب

علينا أحد، أو يهزمنا أحد لأن الله معنا، وإن كان الظفر مؤكّداً لنا قبل أن نبدأ المعركة، فكيف نفكّر في التقهقر والانسحاب؟ بل نتقدم إلى المعركة ونحن نرنم:

حربنا العظمى تشب   كاللظى الشديد
انما الفادي المحب   قائد مجيد
نعمة الرب العظيمة   ضعفنا تعين
كيف نخشى من هزيمة   نصرنا مبين

الفصل التاسع

السيادة على العالم

لقد دعانا الله للسيادة على العالم. فقد قصد أن نولد رجالاً ونموت أبطالاً. ولم يقصد قط أن نقضي حياتنا سعياً وراء مطامع دنيئة.

عندما خلق الله الإنسان، فقد سلّطه على الأرض، وتوّجه بالمجد والكرامة وأخضع كل شيء تحت قدميه، ووضع هذا الانسان المتوّج بالمجد والسلطان قليلاً عن الملائكة.

ولما أخطأ آدم فَقَدَ الإنسان كثيراً من السلطان الذي أعطي له فتضعضع سلطانه وخمدت سيادته.

والإنجيل يعلّمنا كيف نستعيد سيادتنا التي لا تقوم على إخضاع الكلاب الجامحة، أو الحيّات السامة، بل بالسيادة على الأمم وعبدة الأوثان وأقاصي الأرض وامتلاكها، وذلك عن طريق نشر الرسالة المسيحية. ولا يسعنا أن نستعمر العالم بملكوت الرب وسلطانه إلا بالحياة الطاهرة والأخلاق المسيحية السامية المشابهة لحياتة وأخلاقه.

لم يختبر آدم كرامة هذه الدعوة المسيحية، فنحن كمؤمنين شركاء مع الله في فداء العالم. قال أحدهم: «هذه هي مسوؤليتنا، أن نسامح الناس وأن نتوِّجهم باسم الرب إلى سيادة الحياة، إلى السيادة على النفس، إلى الخدمة لأجل الملكوت».

فشل الكثيرون في حياتهم ويئسوا لأنهم أساؤوا استعمال هذه الدعوة العليا. اقتنعنا بإنفاق سنيّ حياتنا في أشياء ثانوية وأمور صغيرة، ونحن نكتفي بالزحف بدلاً من التحليق. ونعيش عبيداً بدلاً من أن نعيش ملوكاً. وما أقل الذين يطمحون إلى توسيع ملكوت المسيح. كان **سبرجن** يختلف عن غيره في هذا الامر فكتب

لإبنه رسالة مؤثّرة يقول فيها: «إذا اراد الله لك أن تكون مرسلاً فلا أريد لك أن تموت مليونيراً. وإن اهّلك الله لأن تكون مرسلاً، فلا أريد أن تهبط لتكون ملكاً، ما قيمة الملوك والرؤساء، والتيجان، لو اجتمعت معاً بالنظر إلى ربح النفوس للمسيح والبناء لأجل إسمه. ليس على أساس وضعه شخص آخر، ما قيمة هذه كلّها بالنسبة للكرازة بإنجيل المسيح في أماكن بعيدة لم يصل اليها أحد من قبل».

شخصا استثنائياً آخر هو «**جون موط**» المرسل الشهير، الذي لما طلب منه الرئيس كولريدج أن يكون سفيراً لليابان، أجاب: «يا سيدي الرئيس، مذ دعاني الله لأن أكون سفيراً له صمّت أذناي عن كل دعوة أخرى».

ويحدّثنا «**بيلي غراهم**» عن مثل ثالث: «لما كانت شركة (ستاندارد أويل) تبحث عن شخص يمثّلها في الشرق الأقصى، وقع اختيارهم على ممثّل فقدّموا له عشرة آلاف دولار فرفض، ثم عرضوا عليه خمسة وعشرين ألفاً فرفض، ثم عرضوا عليه خمسين ألفاً فرفض.» فسألوه لماذا؟ فأجاب: «إن الراتب الذي تقدّمونه كبير، لكن العمل صغير جداً. فقد دعاني الله إلى عمل أعظم وهو نشر ملكوته».

إن دعوتنا المسيحية أعظم دعوة في الوجود، فإذا أدركنا ذلك نرقى إلى مستوى جديد رفيع، إلى مستوى نبيل. فلا أفخر بدعوتي لأن أكون مهندساً، أو عالم فيزياء، أو طبيب أسنان بل أفخر بأني مدعوٌ لأن أكون رسولاً. وأما هذه الأشياء الأخرى فهي مجرد توافه لا قيمة لها. عند ذلك نرى أنفسنا مدعوين لأن نكرز بالإنجيل للخليقة كلها، وأن نتلمذ جميع الأمم، وأن نبشّر العالم بأسره.

أما كيف يصل الإنجيل إلى العالم كله في عصرنا. فسؤال بسيط جداً. لا يعوزنا لذلك إلا رجال ونساء يحبّون قريبهم كأنفسهم، ويخدمون الإنسانية بمحبة حقيقية وتضحية مسيحية، مكرّسين ذواتهم تكريساً تاماً لله ورسالته، لأن من تحصرهم محبة المسيح لا يستعظمون أية تضحية مهما كانت في سبيل خدمته.

وهم يعملون من فرط محبتهم للمسيح ما لا يمكن أن يقدّموه ولا أن يفعلوه في سبيل أي ربح دنيوي. حتى نفوسهم لا ثمن لها في نظرهم، يُنفِقون ويُنفَقون، في سبيل نشر الرسالة كي لا يهلك أناس من جهلهم للإنجيل. وهم يصلّون مع «**جيمس ستيوارت**» قائلين: «أيها الرب المصلوب، امنحني قلباً مثل قلبك، وعلّمني أن أحب نفوس الناس المائتة، واحفظ قلبي في شركة دائمة معك، وامنحني مزيداً من المحبه - محبة الجلجثة النقية - حتى آتي بالهالكين اليك».

لا يمكن أن ينجح المرسلون ما لم تكن المحبة دافعهم الوحيد لأن كل شيء غيرها لا يساوي شيئاً، فتصبح الخدمة إذ ذاك «نُحَاساً يَطِنُّ أَوْ صَنْجاً يَرِنُّ»، وعلى العكس، فإنها تنجح وتزدهر، وتنشر رسالة المسيح، إذا كانت المحبة نجمها الهادي.

تأمل فريقاً من التلاميذ كرّسوا نفوسهم ليسوع المسيح، وطافوا يجوبون البر والبحر كارزين بالرسالة المجيدة، وهم يسعون إلى مناطق جديدة بغير ملل، ويرون في كل شخص نفساً مات المسيح لأجلها، ويبذلون جهدهم لإقناعها بحقيقة المسيح وعبادته. فما هي، ترى، الوسائل التي يستخدمها ذلك الفريق المندفع لإعلان المسيح وتعريف الجميع به؟

يقدم العهد الجديد مبدأين رئيسيين لهذه الغاية. الأول: المناداة العلنية، والثاني: التلمذة الفردية.

وقد استخدم المسيح وتلاميذه هذه الوسيلة باستمرار. فحيثما وجدوا أناساً مجتمعين اتخذوا من اجتماعتهم فرصة سانحة للكرازة بالإنجيل، وتقديم الأخبار السارة. ولذلك نجد اجتماعات تذاع فيها بشارة الإنجيل في الأسواق، وفي السجون، وفي المجامع، وعلى شواطىء البحار والأنهار. وذلك لأن الرسالة السامية الملحّة لا تحصر في أماكن الاجتماعات الرسمية.

وكانت الطريقة الثانية لنشر الإيمان هي الطريقة الفرديّة وربح الإنسان الواحد للرب. وقد استخدم الرب يسوع هذه الطريقة في تدريب تلاميذه الاثني عشر.

فدعا هذا الفريق القليل العدد ليكونوا معه، رسلاً له. وظلّ يعلّمهم يوماً بعد يوم، ويثبّتهم في حق الله. وكان يضع أمامهم باستمرار العمل الذي عيّنه لهم ودعاهم للقيام به. وانبأهم بالتفصيل عمّا سيلاقونه من أخطار وصعوبات. وأدخلهم إلى أسرار مشيئة الله، وجعلهم شركائه في الخطة الالهية الجديدة الصعبة. ثم أرسلهم كحملان في وسط ذئاب. وألبسهم قوة الروح القدس، فخرجوا إلى العالم يخبرونه بالمخلّص الرفيع المقام والممجّد. وكانت النتيجة أن أولئك الأحد عشر بعد خيانة يهوذا، قد قلبوا العالم رأساً على عقب، وأتوا به إلى المسيح.

وبولس الرسول لم يمارس هذه الطريقة فقط، بل حضّ أيضاً تيموثاوس على ممارستها قائلا له: «وَمَا سَمِعْتَهُ مِنِّي بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ، أَوْدِعْهُ أُنَاساً أُمَنَاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَاءً أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ أَيْضاً» (٢تيموثاوس٢:٢).

فالخطوة الاولى لنجاح هذه الخطة هي اختيار أناس أمناء، بعد الصلاة والتدقيق. والخطوة الثانية هي إيصال الرؤيا المجيدة لهم. والخطوة الثالثة هي إرسالهم ليتلمذوا الآخرين (متى١٩:٢٨).

قد تبدو هذه الخطة متعبة سخيفة غير مجدية، ولا سيّما للذين يفضّلون الجموع المحتشدة، ويطمحون للجماهير الغفيرة، ولكن الله يعرف ما يعمل، وطريقته هي أفضل الطرق، فما يقوم به عدد قليل من التلاميذ المكرّسين، أعظم جداً ممّا يقدر عليه جيش جرّار من المتديّنين الذين همّهم إرضاء أنفسهم.

عندما يخرج هؤلاء التلاميذ لتأدية رسالتهم باسم المسيح عليهم أن يتبعوا مبادئ أساسية ذكرت خطوطها العريضة في كلمة الله. فعليهم، أولاً: أن يكونوا حكماء كالحيّات وبسطاء كالحمام، يعتمدون على حكمة الله للسير في طريقهم الشائك الصعب، وُدَعاء متواضعين في اتصالاتهم بإخوتهم البشر، لا يخشى أحد بطشهم ولا قوّتهم الجسدية بل يخافون شهادتهم التي لا تنقطع وصلواتهم التي لا تكلّ ولا تملّ.

لا يتحزّب هؤلاء التلاميذ ولا يتدخّلون بالسياسة العالمية. فلا يحاولون إنقلاباً أو حرباً أو اعتناق عقيدة سياسية، بل يعملون تحت أي نظام من نظم الحكومة، ويخلِصون له شرط ألا يمس شهاداتهم أو يدعوهم إلى إنكار سيّدهم. أما أن جاوز الأمر هذا الحد، فهُم يرفضون الطاعة والخضوع، متحملين النتائج مهما كانت، لأنه: «يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ». على أنهم لا يتآمرون ضد أية حكومة بشرية، كما أنهم يخلِصون تمام الإخلاص لسيّدهم ولملكوته الذي ليس من هذا العالم. ألم يقل المسيح: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَم. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ... وَلَكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا». هؤلاء التلاميذ هم سفراء للمملكة السماوية، وهم لذلك غرباء في هذا العالم ونزلاء. إنهم أمناء في كل معاملاتهم، ويتجنّبون كل نوع من أنواع الغش والاحتيال. «نعمهم» نعم و «لاهم» لا.

يرفضون النظرية الشائعة القائلة بأن الغاية تبرّر الوسيلة، وأن الكذبة البيضاء مسموح بها، ولا يسمحون لأنفسهم تحت أي ظرف بأن يعملوا الشر لكي يأتي الخير. ولكل منهم ضمير حي يفضلّ الموت على الخطية.

ومبدأ آخر يتبعه هؤلاء الناس، بطرق متنوعة، هو أن يربطوا عملهم بكنيسة محلية. فيذهبون إلى الحقول المبيضة للحصاد ليربحوا نفوساً للرب يسوع، وبعد ذلك يقودونهم إلى كنيسة محلية لكي يتقووا ويُبنوا على الإيمان الأقدس. ولا عجب، فإن تلاميذ المسيح الحقيقيين يدركون أن الكنيسة المحلّية هي الوحدة الأساسية التي وضعها المسيح على الأرض لنشر الإيمان، وعن طريقها تقوم الأعمال الفاضلة الخالدة.

وهؤلاء التلاميذ حكماء، يتجنّبون التحالف الذي يوقعهم في الفخاخ والاشتباكات، أيّ كان نوعها. ويرفضون بشدة أن يسمحوا لأية سلطة بشرية أو نظام بشري أن يملي عليهم ما يريد. يتلقّون أوامرهم من رئاستهم السماوية.

ويعملون مع اخوتهم المسيحيين في الكنيسة المحلية بملء الثقة بأن عملهم ليس إلا بحسب إرادة الله، ومع هذا فهم يصرّون على ضرورة خدمة المسيح بمنتهى الطاعة لكلمته والاسترشاد به.

وأخيراً فهؤلاء التلاميذ لا يُظهرون أنفسهم، لأنهم يكرهون حب الظهور فيعملون خفية بدافع واحد أساسي، هو تمجيد الرب يسوع وإعلانه للآخرين.

فهم لا يطلبون أشياء عظيمة لأنفسهم ولا يريدون أن يعلنوا خطّتهم للعدو. وهم يعملون في هدوء ونشاط وهمة غير عابئين بما يقدّمه لهم الناس من مدح أو ذم، عالمين أن من السماء جزاء عملهم الأفضل.

الفصل العاشر

التلمذة والزواج

«ويُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.»

إحدى المسائل الرئيسية التي يواجهها كل تلميذ هي: هل دعاه الله إلى حياة الزواج أم إلى حياة العزوبة؟ وهذه بالطبع مسألة شخصية بحتة، يتوخّى فيها الفرد إرشاد الرب. فلا يقدر أحد أن يشرّع لغيره في هذا الموضوع أو يتدخّل في أموره لأن التدخّل خطر.

تعليم الكتاب المقدس واضح في هذا الصدد، فالزواج فريضة رتّبها الله للجنس البشري لأغراض عدّة منها ما يلي:

١. للشركة وللبهجة فإن الله تعالى قال: «لَيْسَ جَيِّداً أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ» (تكوين٢:١٨).

٢. لبقاء الجنس البشري. وهذا واضح من قول الرب: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ» (تكوين١:٢٨).

٣. لحفظ العائلة والمجتمع من الفساد: «لِسَبَبِ الزِّنَا لِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ امْرَأَتُهُ» (١كورنثوس٧:٢).

وليس في كلمة الله ما يشير إلى أن الزواج نقيض لحياة الطهارة والولاء والخدمة للمسيح. بل بالحري يذكّرنا الكتاب أن الزواج ينبغي أن يكون مكرّماً والمضجع غير نجس (عبرانيين١٣:٤). ويقول الوحي: «مَنْ يَجِدُ زَوْجَةً يَجِدُ خَيْراً» (أمثال١٨:٢٢)، وكلمات الجامعة: «اِثْنَانِ خَيْرٌ مِنْ وَاحِدٍ» (جامعة٤:٩). قد تطبّق على الزواج، ولا سيّما إذا كان الإثنان يرتبطان معاً في خدمة الرب. ولعل التأثير الفعّال المشترك الذي يشير اليه سفر التثنية حيث يقول: «كَيْفَ يَطْرُدُ

وَاحِدٌ أَلفاً وَيَهْزِمُ اثْنَانِ رَبْوَةً» (تثنية٣٢:٣٠)، يصلُح أكثر ما يصلح في موضوع الزواج. ومع ذلك، ولو أن الزواج هو إرادة الله للجنس البشري عامة، فلا يعني ذلك بالضرورة أنّه إرادة الله لكل فرد. فمع أن الزواج حقّ لا نزاع فيه لكل تلميذ للمسيح، فإن للتلميذ أن يتنازل باختياره عن هذا الحق لكي يقدّم خدمة للمسيح لا ينازعه فيها منازع.

ولقد لاحظ الرب يسوع أن ملكوته سيضمّ أناساً يرغبون بمحض إرادتهم أن يكونوا خصياناً فقال: «يُوجَدُ خِصْيَانٌ وُلِدُوا هَكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ» (متى١٩:١٢).

وهذا، كما هو واضح، عهدٌ شخصيّ تطوّعي يأخذه الشخص على نفسه نتيجة عاملِين:

١. شعوره بأن الله يرشده إلى عدم الزواج.

٢. رغبته في أن يبذل نفسه بأكثر ما يمكن في عمل الرب، ودون أن يعوّقه ارتباطه بمسؤوليّات عائلية.

فالعامل الأول: لا بدّ إذاً لمن يُقدِمَ على أمر كهذا أن يكون متأكداً، ومقتنعاً بإرادة الله ودعوته (١كورنثوس٧:٧). فبهذا الاقتناع وحده يستطيع التلميذ أن يتأكد أن الرب سيمنحه النعمة التي يحتاج اليها للعفّة.

والعامل الثاني: لا بدّ لمن يقدم على هذا العمل أن يقدِم عليه متطوعاً مختاراً. فإذا صارت العزوبة إلزاماً كنسيّاً تعرّضت الطهارة والخلق لخطر جسيم. وأظهر الرسول بولس أن غير المتزوّج ينصرف أكثر لخدمة الرب، فقال: «غَيْرُ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُ فَيَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ يُرْضِي امْرَأَتَهُ» (١كورنثوس٧:٣٢-٣٣).

لهذا السبب عبّر الرسول عن رغبته في أن يقتدي غير المتزوجين والأرامل به، أي أن يلبثوا غير متزوّجين (١كورنثوس٧و٨). أما الذين سبق لهم أن تزوّجوا فيشدّد عليهم الرسول أنه بسبب قِصَر الوقت، يجب أن يجعلوا كل شيء ثانوياً بالنسبة إلى العمل العظيم، وهو تقديم المسيح للجميع. وقد قال في هذا الصدد:

«فَأَقُولُ هَذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ: الْوَقْتُ مُنْذُ الآنَ مُقَصَّرٌ لِكَيْ يَكُونَ الَّذِينَ لَهُمْ نِسَاءٌ كَأَنْ لَيْسَ لَهُمْ وَالَّذِينَ يَبْكُونَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَبْكُونَ وَالَّذِينَ يَفْرَحُونَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَفْرَحُونَ وَالَّذِينَ يَشْتَرُونَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ هَذَا الْعَالَمَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَعْمِلُونَهُ. لأَنَّ هَيْئَةَ هَذَا الْعَالَمِ تَزُولُ.» (١كورنثوس٧:٢٩-٣١).

هذا لا يعني بالطبع أن يتنصّل الإنسان من مسؤولياته العائلية، ويترك زوجته وأولاده، ويذهب مرسلاً إلى البلدان البعيدة. لكنه يعني أنه يجب عليه ألا يعيش لإشباع ملذّات الحياة البيتية، وألا يتخذ من زوجته وأولاده مبرّراً لإعطاء المسيح المكان الثاني في حياته.

كان «**تشارلي استاد**» يخشى أن تعطيه زوجته المكان الأول في حياتها عوضاً عن الرب يسوع.

وقد كتب بولس الرسول: «الْوَقْتُ ... مُقَصَّرٌ» واستطرد يقول : «لِكَيْ يَكُونَ الَّذِينَ لَهُمْ نِسَاءٌ كَأَنْ لَيْسَ لَهُمْ...».

إن المأساة الأليمة هي أن التسرّع في الزواج أو الاندفاع اليه دون إرشاد الهي أكيد، كثيراً ما يصبح فخاً يستخدمه الشيطان ليعطّل التلميذ الغيور عن العمل ويثنيه عن الخدمة المكرّسة لسيده. وكم من روّاد طموحين أفسد الزواج المتسرّع خدمتهم لسيّدهم.

قال «**ويلي غوستافسون**» : الزواج... عدوّ لدود لإتمام إرادة المسيح الذي يريد أن يسمع الجميع رسالته. صحيح أن الزواج مرتّب من الله، لكن عندما

يعترض سبيل إتمام إرادة الله، يصبح وَبَالاً خطيراً. وفي استطاعتنا أن نَذكُر عدداً كبيراً من الناس - رجالاً ونساء - أهملوا الدعوة عند سماعها نزولاً عند رغبة أحد الأقارب أو شريكة الحياة أو شريكها. فتعطّلت دعوتهم وأهملوا غرض الله في حياتهم فخسروا نفوساً كثيرة ماتت بلا مسيح وكان بإمكانهم ربحها... وكم من نفس تموت اليوم بلا مسيح. فلعلّه من الأفضل لخدّام الكلمة ألا يتزوجوا».

قال احدهم: «على الرجال والنساء الذين في المقدّمة كطليعة الجيش، أن ينكروا أنفسهم ويحرموها حتى من ضروريّات الحياة، فضلاً عن متعتها ولذّاتها. ولو كانت شرعية. ويقضي عليهم الواجب أن يحتملوا المشقّات، كجنود صالحين، وأن لا يرتبكوا بأمور الحياة، وأن يطرحوا كل ثقل كأبطال رياضيين مدرَّبين... ليس عملهم إلا دعوة ورسالة، وتكريساً لخدمة خاصة».

وقد وُعِد جميع من يسمعون الدعوة ويلبّونها بمكافأة خالدة أكيدة، فقد وَعَدَ الربُّ تلاميذه قائلاً :

«إلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ... وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَات أَوْ أَباً أَوْ أُمّاً أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَداً أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ.» (متى١٩:٢٨-٢٩).

الفصل الحادي عشر

حساب النفقة

لم يتملّق الرب الناس لقبول الإيمان، ولم يحاول قط أن يقنعهم بسهولته بل على العكس فقد شرح لهم شروطه الصعبة وتكاليفه الباهظة التي لا تقبل المواربة أو التعديل. فأنذر سامعيه بأن كل من يريد أن يتبعه يجب عليه أن يجلس أولاً ويحسب النفقة فقال: «وَمَنْ مِنْكُمْ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بُرْجاً لاَ يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَحْسِبُ النَّفَقَةَ هَلْ عِنْدَهُ مَا يَلْزَمُ لِكَمَالِهِ؟ لِئَلاَّ يَضَعَ الأَسَاسَ وَلاَ يَقْدِرَ أَنْ يُكَمِّلَ فَيَبْتَدِئَ جَمِيعُ النَّاظِرِينَ يَهْزَأُونَ بِهِ قَائِلِينَ: هَذَا الإِنْسَانُ ابْتَدَأَ يَبْنِي وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُكَمِّلَ. وَأَيُّ مَلِكٍ إِنْ ذَهَبَ لِمُقَاتَلَةِ مَلِكٍ آخَرَ فِي حَرْبٍ لاَ يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَتَشَاوَرُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُلاَقِيَ بِعَشَرَةِ آلاَفٍ الَّذِي يَأْتِي عَلَيْهِ بِعِشْرِينَ أَلْفاً؟ وَإِلاَّ فَمَا دَامَ ذَلِكَ بَعِيداً يُرْسِلُ سَفَارَةً وَيَسْأَلُ مَا هُوَ لِلصُّلْحِ.» (لوقا١٤:٢٨-٣٢).

هنا يشبّه المسيح الحياة المسيحية ببناء أو بحرب.

فمن الغباوة البالغة أن يبدأ أحد ببناء برج ما لم يكن لديه المواد والاموال اللازمة لإكماله، وإلا يبقى ذلك البرج الناقص رمزاً لِقِصَر النظر ونقص الحكمة.

ما أصدق هذا في الحياة المسيحية! يسهل على الانسان أن يقرر تسليم نفسه للمسيح في حماسة عاطفية في أثناء حملة إنتعاشية. لكن لا يسهل عليه بعد التسليم أن ينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبع المسيح. فأعتناق المسيحية شيء والسير فيها بثبات ومواظبة شيء آخر! فهي عبارة عن طريق التضحية والاعتزال وتحمل الآلام لأجل المسيح. ومن السهل أن تفوز في السباق المسيحي بادىء بدء، ولكن هل تفوز إذا مارسته يوماً بعد يوم في الصحو والمطر، في الشدة والرخاء، في السرّاء والضرّاء؟

يعرف العالم أن الحياة المسيحية إما أن تكلف كل شيء وإما لا تكلف شيئاً، لذلك فأهله يرقبوننا بعين ثاقبة نافذة. المسيحي المكرّس قد يُهزأ به في بادىء الأمر، ولكن ما أن يلمس إخلاصه وولاءه حتى يُحترم ويُقدر. على عكس ذلك فهم يحطّون من قدر من يدّعي المسيحية ولا يطبّق مبادئها بكل قلبه وقواه وكأنهم يقولون: «هذا الانسان ابتدأ يبني ولم يقدر أن يكمل، تجدّد بعاطفة وحماس وإرادة كلية. أما الآن فهو كواحد منّا. لقد اندفع بأقصى سرعة وها هو الآن قد توقف ونكص على عقبيه».

لذلك قال المخلِّص: «يحسن بك أن تحسب النفقة».

أما المثل الثاني الذي ذكره المسيح فهو عن ملك أراد أن يعلن حرباً على ملك آخر. أفلم يكن من الضروري له أن يجلس أولاً ويقدّر ما إذا كان بإمكانه أن يهزم بجيشه المؤلف من ١٠,٠٠٠ جندي جيش العدو الذي يبلغ ضعف هذا العدد؟ أليس من الغباوة أن يعلن الحرب أولاً ثم يعدّ الجيش، عندما يكاد الجيشان أن يلتحما في الميدان! فما عليه والحملة هذه إلا أن يرفع الراية البيضاء ويرسل وفداً من قِبَلِهِ للتسليم قابلاً بأنكسار وتذلل، كل الشروط التي يمليها عليه خصمه.

وليس ثمة من مبالغة في تشبيه الحياة المسيحية بحرب. فهناك أعداء ألدّاء - العالم والجسد والشيطان. هناك مثبِّطات ومفشِّلات ودماء جارية وآلام مريرة. هناك ساعات طويلة متعبة من الجهاد والنضال. وهناك ليل حالك تنتظر فيه النفس بزوغ النهار. هناك دموع وآلام وامتحانات قاسية. «إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ».

فكل من اعتزم أن يتبع المسيح، عليه أن يتذكر جتسيماني، وجباثا، والجلجثة. عليه أن يحسب حساب النفقة. فإما تسليم تام للمسيح، وإما استسلام مذل للعدو.

بهذين المثلين حذّر الرب يسوع سامعيه من التسرّع في التقرير بشأن التلمذة والانجراف بدافع التحمّس العاطفي. ووعدهم صريحاً بأنهم سيلاقون الاضطهاد والضيق والألم، فعليهم أن يحسبوا حساب النفقة.

تُرى ما هي النفقة؟ يجيبنا عن ذلك العدد التالي: «فَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً» (لوقا١٤:٣٣).

النفقة إذاً هي «كُلُّ شيءٍ» - كلّ ما للإنسان، وكل ما في الإنسان. هذا ما عنته النفقة بالنسبة للمخلّص، ولا يمكن أن تعني أقل من ذلك بالنسبة لتابعيه. فإن كان الغني الذي لا يستقصى غناه قد افتقر طوعاً واختياراً، فهل ينتظر تلاميذه أن ينالوا الاكليل بنفقة أقل؟ ثم ختم الرب يسوع حديثه بهذه الخلاصة:

«اَلْمِلْحُ جَيِّدٌ. وَلَكِنْ إِذَا فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُملَّح؟ لاَ يَصْلُحُ لأَرْضٍ وَلاَ لِمَزْبَلَةٍ فَيَطْرَحُونَهُ خَارِجاً».

يبدو أن الملح، آنذاك، لم يكن من النقاوة مثل الملح الذي نستعمله اليوم على موائدنا. كان ملحهم مخلوطاً بشوائب كالرمل وغيره. فكان ميسوراً أن يفقد الملح ملوحته فيصبح بلا طعم وبلا فائدة، وإذ ذاك لا يصلح سماداً للأرض، فلم يبق له سوى أن يطرح خارجاً تدوسه الأقدام (متى٥:١٣).

ومغزى المثل واضح. إن غرض المسيحي الرئيسي هو أن يمجّد الله بحياة يسكبها بتمامها أمامه. وقد يفقد المسيحي ملوحته إذا انصرف لجمع كنوز على الأرض، أو سعى وراء راحته وملذاته، أو هدف إلى اسم وصيت له في العالم، أو بإفساد حياته ومواهبه باستخدامها في عالم لا يستحقها.

فإذا أخطأ المؤمن هدف حياته الرئيسي، خسر كل شيء. ومصيره كالملح الذي فقد ملوحته: يداس تحت أقدام الناس متحملا تعييرهم وازدراءهم وسخريتهم.

وهذه كلمات المسيح الأخيرة:

«مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ».

اعتاد الرب يسوع المسيح أن يختم بهذه العبارة تعاليمه الصعبة، لأنه علم أنها تعاليم لا يقدر أن يقبلها الجميع، وعرف أن بعض الناس سيحاولون تفسير كلامه بشكل يضيّع معناه أو يضعف حدة مطاليبه.

لكنه عرف أيضاً أن هنالك قلوباً مفتوحة، تخضع لمطاليبه وتستجيب لدعوته، عالمة أن الكلفة تساوي الربح - ربح المسيح.

من أجل ذلك ترك الباب مفتوحاً قائلاً : «مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ». والذين يسمعون ويحسبون النفقة ويصمّمون على اتّباع يسوع لا يترددون في القول:

صممت أني أتبع يسوع	أتبع يسوع بلا رجوع
ولو تركني كل خلاني	أتبع يسوع بلا رجوع
العالم خلفي يسوع أمامي	اتبع يسوع بلا رجوع

الفصل الثاني عشر

ظل الاستشهاد

ليس للإنسان المكرّس المسلّم حياته للرب تسليماً كلياً سوى همّ واحد هو أن يتمجّد المسيح في حياته. حتى أن الحياة والموت بالنسبة له سيّان في سبيل هذا الهدف السامي.

إذا قرأت حياة **جون وبتي ستام** تجد فيها نغمة النصرة تتكرّر في الكتاب كله، تلك النغمة التي عبّر عنها بولس الرسول بقوله: «الآنَ، يَتَعَظَّمُ الْمَسِيحُ فِي جَسَدِي، سَوَاءٌ كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ بِمَوْتٍ» (فيلبي١:٢٠).

وتجد هذه النغمة نفسها في كتابات **جم إليوت** الذي وهو طالب في كلية هويتون، كتب في مفكرّته يقول: «إني مستعد أن أموت لأجل آكلي لحوم البشر».

وكتب في وقت آخر: «أيها الآب، خذ حياتي، بل أيضاً دمي إذا أردتَ، ولتلتهمه نار محبّتك المضطرمة. إني لا أريد أن أستبقيه لأنه ليس ملكي. خذه يا رب، خذه كلّه، واسكب حياتي كلها سكيباً لأجل العالم، فلا قيمة للدم إلا عندما يسكب على مذبحك».

وكثير من أبطال الله أدركوا هذه الحقيقة وتيّقنوا أنه «إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ» (يوحنا١٢:٢٤). لقد كانوا يرغبون أن يكونوا حبة حنطة.

وهذا هو الموقف بعينه الذي أراد المسيح أن يعلّمه لتلاميذه عندما قال لهم: «فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي فَهَذَا يُخَلِّصُهَا» (لوقا٩:٢٤). ونحن كلّما فكّرنا في هذه التعاليم، تجلّت لنا حقيقتها.

أولاً: إن حياتنا ليست ملكنا. إنها مُلك ذاك الذي اشتراها بدمه الكريم. فهل نتعلّق بغيرة لأن أنانيتنا تدفعنا إلى ذلك؟ أجاب عن هذا السؤال **استاد** فقال:

«عرفتُ شيئاً عن موت المسيح لأجلي، ولكنه لم يدُر بخلدي أنه بذاك العمل اشتراني من آخر. وهذا يعني أنني لم أعد لذاتي بل للذي اشتراني. وهو معنى الفداء.

فداني الرب بدمه لكي أكون له لا لذاتي ولا لأي شيء أو شخص آخر. فلم يبق لي إلا أحد أمرين: إما أن أكون لصاً وأحتفظ بذاتي لذاتي، وإما أن أكون أمينا فاقدّم كل شيء لله. ولما فهمت معنى موت المسيح لأجلي، لم يصعب عليّ أن أقدم الكل له».

ثانياً: سنموت كلّنا، وقد نموت قبل مجيء الرب ثانية.

فأين المأساة: أن نموت في خدمة ملك الملوك، أو أن نموت موتاً عاديّاً بعيدين عنه؟ هل كان **جم إليوت** على صواب عندما قال: «ليس غبيّاً من يقدم ما لا يستطيع أن يحتفظ به ليربح ما لا يمكن أن يفقده».

ثالثاً: أليس من المعقول أن نموت في سبيل مَن مات لأجلنا؟

إن كان العبد ليس أعظم من سيّده، فأي حقّ لنا أن ندخل السماء دون أن نتألّم كما تألّم هو؟ ولهذا قال **استاد:** «إن كان يسوع المسيح - وهو الله - قد مات لأجلي، فليس من تضحية يحق لي أن أبخل بها عليه».

رابعاً وأخيراً: من الإجرام أن نحتفظ بحياتنا في حين لو بذلناها طوعاً دون تحفّظ لفاضت بركات أبدية على إخوتنا في البشرية. فكم جادَ أُناس بحياتهم في سبيل بحث طبي! وكم جاد آخرون بها لينقذوا أعزّاءهم من بيت مشتعل بالنار. وما زال يجود كثيرون بحياتهم في معارك حامية الوطيس لإنقاذ وطنهم من قوّات الأعداء. فما هي إذاً قيمة حياة الناس في نظرنا؟ هل نستطيع أن نقول مع **مايرز:**

«إني أرى النفوس من بعيد مقيّدة بالأغلال، بينما كان لها أن تظفر وتنتصر. وأرى الناس عبيداً وكان يجب أن يكونوا ملوكاً، أراهم يشاركون بعضهم بعضاً في أمل زائل مكتفين بمظهر الأشياء دون جوهرها. فاندلعت في صدري نيران من الشوق، وانطلق صوت من أعماق نفسي كأنّه بوق يناديني وُيهيب بي أن أتقدم لإنقاذهم حتى ولو تعرَّضتُ في سبيل ذلك للموت!».

ليس مفروضاً على الجميع أن يموتوا شهداء. قليلون فقط يستشهدون بالحراب أو بالمقصلة أو سواها، ولكن على كل منّا أن يحمل بين جوانحه روح الشهيد وغيرته وولاءه. وعلى كل منّا أن يحيا حياة أولئك الذين سكبوا حياتهم على مذبح الاستشهاد في سبيل المسيح.

الفصل الثالث عشر

مكافآت التلمذة الحقيقية

هناك مكافآت جزيلة للذي يسلّم حياته تسليماً كلياً للرب يسوع. فنتيجة إتّباعه الربَّ يحصل على الفرح والبهجة والشبع وهي أمور يصبو اليها الإنسان الكامل.

قال المخلّص مراراً وتكراراً: «مَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا» ولهذا القول أهمية كبرى، وإلا لما أوردته البشائر الأربع (أنظر متى١٠:٣٩ و١٦:٢٥، مرقس٨:٤٥، لوقا٩:١٤و١٧:٣٣، يوحنا١٢:٢٥). تُرى لماذا تكرّر هذا القول بهذه الكثرة؟ أليس لأنه يقدّم مبدأ من أعظم المبادئ الأساسية في الحياة المسيحية، ألا وهو أن النفس التي يحتفظ بها الانسان لذاته يفقدها، أما الحياة التي يسكبها الانسان لأجل المسيح، فهي الحياة التي يجدها، ويخلّصها، ويتمتع بها، ويحفظها إلى حياة ابدية؟

بئس الحياة المسيحية اذا كانت فاترة مجزأة. وبورك بالحياة المكرّسة تماماً للمسيح فهي أضمن سبيل للتمتع بأفضل ما يعطيه المسيح.

والتلميذ الصحيح للمسيح يعتبر نفسه عبداً لسيّده، ويجد في خدمته الحرية الكاملة. هناك حرية حقة للنفس التي تقدر أن تقول: «أنا عبد لسيدي». ففي هذه العبودية أجد الحرية التامة.

لا يعبأ التلميذ بالأشياء الصغرى التافهة، ولا بالأمور الزائلة العابرة، بل يهتم بالأمور الأبدية. ويغتبط كما كان يقول **هدسون تيلر** بقلة همومه!

قد يكون التلميذ مجهولاً لكنه معروف حق المعرفة، ومع أنه يموت باستمرار، لكنه يحيا أيضاً باستمرار! قد يكون مؤدباً لكنه غير مقتول. في حزنه يفرح، وفي

فقره يُغني كثيرين. فكأن لا شيء له وهو يملك كل شيء (٢كورنثوس٦:٩و١٠).

وكما أن التلمذة الصحيحة هي حياة الشبع والفضيلة في هذه الحياة، فكذلك لها أبهى المكافآت وأرغدها في الحياة القادمة. فإن ابن الانسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله (متى١٦:٢٧).

وبالتالي، فإن الانسان السعيد حقاً - السعيد في هذه الحياة وفي الحياة الأبدية - هو الانسان الذي يستطيع أن يقول مع **بل بوردن:** «أيها الرب يسوع أنا أتخلّى تماماً عن حياتي لتكون كلها تحت تصرفك. إني أتوّجك على عرش قلبي، فغيّرني، وطهّرني، واستخدمني كما تشاء».

أين كنزك؟

لقد نشرت الفصول الستة القادمة بقلم وليم مكدونالد، في كتيب صغير. ولأن المضمون يرتبط كثيراً بموضوع التلمذة، ارتأينا أن نضمه هنا.

الفصل الرابع عشر

أين كنزك؟

«لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض... بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء... لأنه حيث كنزك هناك قلبك ايضا» (متى٦:١٦-٢١).

أين يكون الكنز هناك يكون القلب. وهذا إما أن يكون في خزنة المال الآمنة أو أن يكون في السماء! لكنه لا يمكن أن يكون في المكانين في آن واحد. لقد قال احدهم: «إما أن يترك المسيحي غناه أو أن يذهب معه.»

لقد منع الرب يسوع تلاميذه أن يكنزوا لهم كنوزا على الأرض. لقد أراد أن تكون قلوبهم في السماء.

مع هذا فإن تعليم المسيح هذا يظهر لنا اليوم أنه متطرِّف ومتعصِّب.

هل بالحقيقة كان يقصد ذلك تماماً؟ أليس المنطق السليم يعلمنا أننا يجب إعداد ما فيه الكفاية لشيخوختنا؟ ألا يتوقع منا أن نكون حكماء ونخزن للأيام الماطرة؟ أن نهتم بمن نحبهم؟ هذه أسئلة جادة يجب مواجهتها باستقامة وصراحة من كل الذين يُعْرَفون بأتباع للمسيح.

ما هي الأجوبة؟ ما الذي يعلمه الكتاب المقدس في ما يتعلق بالغنى في حياة المؤمن؟ هل من الخطأ جني الغنى الشخصي؟ ما هو مستوى معيشة المؤمن؟

الفصل الخامس عشر

نشيط في العمل

أولاً، جميعنا متفقون على أن الكتاب المقدس لا يمنع ربح المال. لقد اشتغل الرسول بولس لأجل احتياجاته الشخصية (اعمال١٨:١-٣؛ ٢تسالونيكي٨:٣). لقد علّم أن الذي لا يريد أن يشتغل فلا يأكل ايضاً (٢تسالونيكي١٠:٣). لا شك في أن الكتاب يشدد على أن الشخص يجب أن يشتغل بنشاط لأجل تدبير احتياجاته واحتياجات عائلته.

فهل يمكننا القول أن على المؤمن أن يجني أكثر ما يمكنه من المال؟ طبعاً لا، لأن تصريح مثل هذا يجب دعمه من كلمة الله. بل يمكنه أن يربح بقدر استطاعته، ولكن مع التحفظات التالية:

- أن لا يُسمح لشغله أن يأخذ جلَّ الإهتمام على حساب ما للرب.
- عليه عدم إهمال اي من التزاماته لملكوت الله وبرّه (متى٣٣:٦).
- يجب أن لا يتسبب شغله بخسارة للبركة والسجود والخدمة عند السعيً وراء المصالح.
- يجب على المؤمن ايضا أن يجني ماله بطرق مستقيمة (امثال١٧:٢٠). ربما تكون سمعة عمله ممتازة، لكن الطرق التي يجني بها ارباحه تكون غير مستقيمة. مثال على ذلك:

عدم التصريح بمدخوله الحقيقي كما يجب (امثال٢٢:١٢).

يغش بالموازين والقياسات. (امثال١:١١).

يعطي الرشوة للمفتشين والمسؤولين (امثال٢٣:١٧).

يقوم بالدعاية عن افضليات في منتوجاته لكن هي في الحقيقة غير حقيقية (امثال٢٠:٦).

يغش بخصوص المصروفات فيزيدها. (امثال١٣:٥).

يراهن في السوق العامة أو في سوق المال مما يشكل نوعاَ من القمار. (امثال١٣:١١)

دفع اجرة العامل والموظف اقل من استحقاقه (امثال٢٢:١٦)

لهذا التصرف الاخير يصرخ يعقوب قائلاً، «هوذا اجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المبخوسة منكم تصرخ وصياح الحصادين قد دخل إلى أذني رب الجنود.» (يعقوب٥:٤).

يمكن للمؤمن أن يجني قدر ما يستطيع من المال بدون تعريض صحته للضرر، لأن جسده هيكلٌ للروح القدس (١كورنتوس٦:١٩). فيجب ألا يتلف صحته سعيا وراء الغنى.

اخيرا، يمكن للمؤمن أن يجني بقدر ما يستطيع بدون أن يصبح طماعاً. يجب أن لا يصبح عبدا للمال بتاتاً (متى٦:٢٤)

جَنْيُ المال أمر مقبول ولكن يجب أن لا تقع في حبه (مزمور٦٢:١٠).

مختصر القول. يمكن للمؤمن أن يربح بقدر استطاعته على أن يعطي الله المكان الاول. أن يتمم واجبه لعائلته، وأن يشتغل بطريقة بنائة، أن يتعامل بامانة وصدق، يحافظ على صحته، ويمتنع عن الطمع.

الفصل السادس عشر

الحيازة وليس التمسك

السؤال التالي الذي يجب أن نواجهه هو كما يلي:

«هل من الخطأ تراكم المال عندنا، وماذا يقول العهد الجديد بهذا الخصوص»؟ الجواب بالتاكيد: نعم!

لا يدين الكتاب المقدس من يصبح غنياً. يمكن للشخص أن يصبح غنيا في ليلة وضحاها بواسطة امتلاكه إرث كبير. لكن يوجد الكثير ليقال بخصوص ما يمكن أن يُعمل بهذا الغنى.

اليك ما يعلِّمه الكتاب المقدس:

أولا، نحن وكلاء الله (١كورنتوس٤:١-٢). وهذا يعني أن كل ما لدينا يعود اليه، وليس لأنفسنا. مسئوليتنا هي أن نستعمل ماله لمجده. إن فكرة ال٩٠٪ لنا لنستعملها وال١٠٪ الباقية هي حصة الرب، هذا تفسير خاطيء لما يقصده العهد الجديد عن الوكالة. فإن الكل للرب.

النقطة الثانية:علينا أن نكون مكتفين بما عندنا من طعام وشراب. «فان كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما» (١تيموتاوس٦:٨). والكلمة كسوة تعني اللباس أو السقف فوق رؤوسنا. ويمكن أن يُقصد بها أي نوع من الملجأ أو اللباس. فقصْد الكتاب هو أن نكون مكتفين بضروريات الحياة- الطعام واللباس والمأوى. وعندما يسمح الرب بحصولنا على بيت فهذا أكثر مما كان له عندما عاش على الارض: لم يكن لديه أين يسند رأسه (متى٨:٢٠).

من الطبيعي للمؤمن الذي يملك مصلحة عمل، يحتاج إلى راس مال ثابت وآخر منقول من أجل أن يستطيع الاستمرار. يجب أن يتمكن من دفع ثمن

المواد واجرة العمال والموظفين، وأن يكون باستطاعته تلبية كل المطاليب المالية التي تاتيه يوما فيوماً. لا يوجد ما يمنع المؤمن المسيحي في المصالح من أن يكون بحوزته المال اللازم لاستمرار العمل.

الامر التالي هو أن نعيش حياة مقتصدة، متوخين عدم التبذير من أي نوع. بعد أن أطعم يسوع الخمسة آلاف، طلب من التلاميذ أن يجمعوا الطعام المتبقي (يوحنا٦:١٢). فهو بمثاله هذا يعلمنا الاقتصاد بكل مكان ممكن.

نشتري الكثير من الاشياء غير الضرورية. خصوصا في فترة عيد الميلاد، نصرف بعض المال على اشياء بدون قيمة، سريعا ما تجد مكانها في المخزن حيث لا تنفع احداً.

نشتري اشياء باهظة الثمن، مع أن مثيلها أرخص منها في كثير من الاحيان يقضي الحاجة تماماً. (الاشياء الرخيصة لا تكون دائما افضل شروة. علينا فحص الاسعار والجودة والوقت الذي نوفره الخ...)

يجب تدريب أنفسنا على مقاومة تجربة رغباتنا شراء كل ما نريده. وعلينا تطوير عادة العيش باقتصاد، من أجل ابن الانسان.

كل ما هو أكثر من احتياجاتنا يجب تشغيله في سبيل الرب (١تيموتاوس٦:٨). تذكّر، أن كل شيء له ونحن وكلاؤه. وعملنا أن ننشغل بامتداد وتنفيذ اهدافه على الارض، بتوظيف كل قدراتنا.

سوف نرى معارضة فورية لفكرة التخلي عن كل ما يفوق الطعام والكساء والمسكن، لنستخدمه في سبيل الرب ليوصف بالتهور، المغامرة وقصر البصيرة.

لكن يوجد لدينا الاثبات من شخص واحد قد قام بذلك. كانت ارملة، وقد كان بحوزتها فلسان وضعتها كلها للهيكل.

لم يوجهها الرب لعمل ذلك، ولكنه قال عنها «بِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هَذِهِ الأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمِيعِ، لأَنَّ هَؤُلاَءِ مِنْ فَضْلَتِهِمْ أَلْقَوْا فِي قَرَابِينِ اللهِ وَأَمَّا هَذِهِ فَمِنْ إِعْوَازِهَا أَلْقَتْ كُلَّ الْمَعِيشَةِ الَّتِي لَهَا» (لوقا٢١:٣-٤).

لقد نُهينا من أن نكنز لنا كنوزا على الارض. فكلمات الكتاب المقدس سهلة الفهم وواضحة:

«لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً فِي السَّمَاءِ حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضاً. (متى٦:١٩-٢١).

كثيرون منا يفضلون، اذا صح القول، لو لم تكن هذه الآيات في الكتاب المقدس. نحن نؤمن أن يسوع تكلم بها وانها موحى بها من الله، ولكننا نعتقد أنها لا تنطبق علينا. فلا نطيعها، ولهذا نتمنى لو لم يقلها الرب بتاتاَ.

ولكن تبقى الحقيقة الواضحة وهي: إنها خطيئة أن تكنز لك كنوزا على الارض. إنها تعارض كلمة الله مباشرة. وما ندعوه حيطة وبصيرة سليمة، فهي في الواقع تمرّد وإثم. وبقي القول الصحيح أنه حيث يكون كنزنا هناك يكون قلبنا ايضاً.

لقد ذهب الدكتور صموئيل جونستون مرة بدعوة من صديقه في جولة إلى قَصر فاخر جدا، تجول وسطه وفي الحدائق الجميلة المعتنى بها جيداَ. عندها استدار وقال لصديقه، هذه هي الاشياء التي تجعل من الموت أمراً صعباً.

أخيرا علينا أن نضع ثقتنا بالرب بما يختص بالمستقبل. فالله يدعو شعبه لحياة الايمان، لحياة الاعتماد عليه وحده. يعلمنا أن نصلي، «خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا

الْيَوْمَ» (متى٦:١١). ومن قصة المنّ نفهم أنه يعلمنا الاعتماد عليه يوما فيوماً من أجل تدبير احتياجاتنا (خروج١٦:١٤-٢٢). هو نفسه سيكون ضماننا، يجب علينا أن لا نتّكل على القصبه المكسورة في هذا العالم.

هذه هي اذا مشيئة الرب لشعبه – بأن ندرك أننا مجرد وكلاء وأن كل ما بحوزتنا هو له، ويجب أن نكون مكتفين بضروريات الحياة؛ وأن نعيش باقتصاد بقدر ما نستطيع؛ وأن نضع كل ما يزيد عن احتياجاتنا في عمل الرب؛ وأن لا نكنز لنا كنوزاً على الارض؛ وأن نثق به للمستقبل.

الفصل السابع عشر

ما الضرر في ذلك؟

مثلاً هل يخطيء المسيحي عندما يجمع أو يكنز الثروات؟

أول شيء هو خطأ لأن الكتاب المقدس يقول ذلك في (متى١٩:٦) وهذا في حد ذاته سبب كاف. لماذا كان خطأ على آدم وحواء أن يأكلا من ثمر شجرة معرفة الخير والشر؟ لأًن الله قال ذلك، وهذا القول يحسم كل امورنا.

ثانيا إنه خطأ لأنه يتغاضى ولا يبالي بالحالة الروحية الملحة التي يحتاجها العالم اليوم (امثال٢٤:١١-١٢)، فهناك الملايين من الرجال والنساء، والفتيان والفتيات لم يسبق لهم أن سمعوا إنجيل نعمة الله. ملايين ليس لديهم الكتاب المقدس الذي يجدون فيه الطريق الصحيح إلى الله والتعليم السليم للحياة المسيحية، فيموتون بدون علاقة صحيحة مع الله، وبدون المسيح وبلا رجاء.

إن إمتلاك وسائل نشر الانجيل وعدم استخدامها لهو شكل من اشكال الموت الروحي (حزقيال٣٣:٦).

ما هذا إلا شهادة علنية واضحة عن عدم وجود محبة للرب، في قلب كل من يكنز ثروات هذا العالم! لأنه مكتوب «لأن من كان له معيشة العالم ونظر اخاه محتاجا واغلق احشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه؟» (١يوحنا٣:١٧).

فعندما عثر الرجال الاربعة البرص الذين كانوا يتضورون جوعا على كمية وافرة من الغذاء، اشبعوا جوعهم ثم اسرعوا ليشاركوا إكتشافهم مع الاخرين فيما عثروا عليه وشبعوا منه (٢ملوك٧:٩). فهل يكون المسيحيون في عهد النعمة اقل عطفا من البرص الذين عاشوا في عهد الناموس ؟

ثالثا: إنه لمن الخطأ تكديس الاموال، لأن ذلك ينم عن قساوة القلب تجاه

الاحتياجات الطبيعية أو الضرورية الهائلة للعالم (امثال٣:٢٧-٢٨؛ ١١:٢٦). إن الرجل الغني المذكور في (لوقا١٦) لم يُبدِ أي اهتمام للمستعطي المطروح عند بابه، ولم يتجه نحو نافذته ليزيح الستارة جانبا ليرى رجلا في احتياج حقيقي، إنسانا جديرا بأن يُنفق عليه بعضاً من نقوده. ولكنه لم يهتم بذلك.

العالم اليوم مليء بأمثال لعازر، مطروحون أمام أبوابنا. والرب يسوع يقول لنا «تحب قريبك كنفسك» (متى٢٢:٣٩). فإن رفضنا أن نُصغي اليه الأن قد نسمعه يوما ما يقول لنا «جُعت فلم تطعموني. عطشت فلم تسقوني، بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر، فبي لم تفعلوه» (متى٢٥:٤٢-٤٥).

رابعا: إنه لمن الخطأ على المسيحي أن يكنز له كنوزاً على الارض لأن هذا يكون سبب تجديف غير المسيحيين على اسم الله (رومية٢:٢٤). فقد قال فولتير «يعبد الإنسان المال، عندما يتعلق به». فالعديد من غير المخلّصين على دراية بتعاليم يسوع المسيح، ويعرفون أنه علينا أن نحب قريبنا، لكنهم يلاحظون التناقض الواضح بين سلوكنا وبين اقوال الرب، عندما يرون أن المعترفين بإتباعهم للمسيح يترفهون في بيوت ضخمة، وسيارات فخمة، اطعمة شهية وثياب غالية الثمن.

إنه وقت لكي تصحو الكنيسة! فنتحدث مع الشباب المتعلم في كل ارجاء العالم ونصغي لانتقادهم للمسيحية! فهؤلاء لا يعارضون مباديء يسوع المسيح، لكنهم يقاومون بشدة غنى الكنيسة والمسيحيين في عالم مسحوق بالفقر.

نحن نهتم ليس بغير المؤمنين فقط ولكننا نهتم بالمؤمنين الاحداث أيضاً. فهم يراقبون شيوخهم ويتخذونهم قدوة لهم، فطريقة حياتنا أهم من تعليمنا الكلمة، فإحساسنا بالقيَم والمبادئ لا يكون بحسب الموعظة الحماسية التي نلقيها يوم الأحد، إنما بالهدف الذي نسعى خلفه من يوم الاثنين حتى السبت.

يحكُم الشباب على حقيقة عيشتنا كغرباء في العالم بما يرونه في تقييمنا

للامور الزمنية. إنهم لا يتأثرون بالصلوات المؤثرة التي تطلب المال لأجل عمل الرب، بينما عندهم المال اللازم لتسديد احتياجات الخدمة بمجرد جرة قلم.

فإن صرفنا حياتنا في جمع الثروة، فيجب أن نستغرب عندما يتبع الشباب مثالنا. ليتنا لا ننسى إنذار الرب يسوع:

«لا يمكن إلا أن تأتي العثرات، ولكن ويلٌ للذين تأتي بواسطته. خير له لو طوق عنقه بحجر رحي وطُرح في البحر، من أن يُعثر أحد هؤلاء الصغار» (لوقا١٧:١-٢).

يُعتبر جمع الثروة خطية لسبب آخر، وهو لأنها تسلب الله (ملاخي٣:٨). سبق وعرفنا أن كل ما لنا هو له. فإذا كنا لا نقدر أن نستخدم كل ذلك في تقدم الأمورالإلهية، فليتنا نساعد به أولئك الذين يعرفون أن يستخدموه في عمل الرب. فلا عذر لنا في اخفائه في منديل (لوقا١٩:٢٠-٢٦).

فشلنا في طاعة الرب بما يختص بالوكالة على الأموال، يغلق مقاطع من الكتاب عن فهمنا (متى٦:٢١-٢٣)، فتُعمى عيوننا أمام الأجزاء الكتابية التي في غاية البساطة في ظاهرها وواضحة جدا في وجوههم.

وما هذا الا مظهر واقعي لطبيعتنا الساقطة المنحرفة،

كلما أبعدنا تعليم الكلمة من مركز حياتنا ومسئولياتنا - كما يحصل مع قأنون الفيزياء- كلما قلَّ ضغط طبيعتنا الخاطئة على استنتاجنا. والجدير بالذكر أنه كلما تعمقنا في دراسة الكلمة وازددنا قربا لخالقنا، كلما زاد نشاط الطبيعة الساقطة فينا، لتعمي اذهاننا عن الحق الذي لا نريد أن نؤمن به، ولكي تشجعنا على التمسك بفرضية تبدو أنها ستعفينا من مسؤليتنا.

كتب **هارنجتون س. ليز** في هذا المجال Harrington c. Lees الجزء الأكثر حساسية عند الانسان المتحضر هو جيبه، وإن الصراع الاكثر قساوة الذي يشنه

الواعظ من على المنبر هو عندما يلمس جيوب سامعية».

فالاجزاء الكتابية التي تتكلم عن إنكار الذات، عديمة التاثير عندما نعيش حياة رخاء. وبالتاكيد لا يمكننا أن نُعلم اي مقطع كتابي بفاعلية إن لم نكن قد عشناه بانفسنا. فواحدة من لعنات عدم الطاعة في هذا الأمر كما هي في باقي الأمور الأخرى، كتاب مقطَّع الاوصال (متى١٣:١٤-١٥).

إن تجميع الثروات يجعل حياة الإيمان العملي مستحيلة. لماذ؟ لأنه يستحيل عليك أن تجمع ثروة دون أن تتكل عليها. فالرجل ذو الأموال لا يعرف مقدار اعتماده عليها. «ثروة الغنيّ مدينته الحصينة، ومثل سور عال في تصوره» (امثال١٨:١١).

أنه يعتمد على المال في حل جميع مشاكله لتمنحه سعادة في الحاضر وأماناً للمستقبل، فإذا ما خسر كل ثروته فجأة، يفقد متكله وكل معتمده، ويصبح في حالة من الارتباك.

والحقيقة هي أننا نثق في حساب البنك الذي نراه بدل ما نثق بالله الذي لا نراه. ففكرة أن لا يكون اعتمادنا على أي شيء أو شخص آخر سوى الله كفيلة بالتسبب لنا بانهيار عصبيً.

لا نشعر بالامان بين يديه، لكننا نشعر مطمئنين إذا كانت لدينا كنوز هذا العالم، التي تحمينا من المصادفات والتغيّرات المفاجئة، فنشعر بالأمان اكثر. وهذا بالتاكيد شعور عام . «كلنا نكون في خطر الإنزلاق إلى حالة الانزعاج وعدم الثقة بتدبير الله الابوي» (صموئيل كوكس Samuel cox)

فإرادة الله هي أن تكون حياتنا في ازمة دائمة لكي يكون الأعتماد الكلي والدائم عليه، أما عندما نكنز كنوزا على الارض، فإننا نناقض مشيئته لحياتنا.

حياة الايمان هي الحياة الوحيدة التي ترضي الله: «لأنه بدون ايمان لا يمكن

ارضاؤه». (عبرانيين١١:٦). حياة الايمان هي الوحيدة التي تضمن لنا الامان الحقيقي، «فهو من الايمان... ليكون الوعد وطيداً» (رومية١٦:٤) لذلك ليس شيء مؤكد أكثر من وعد الله الذي ينتج حياة الإيمان التي لا يشوبها القلق. تنشأ الاضطرابات العاطفية والعصبية من الاعتماد على الماديات وليس من المسير مع الله بالإيمان. فحياة الايمان هي الوحيدة التي تجلب المجد لله. أما اذا سلكنا بالعيان فنحن نُمجد البراعة والذكاء البشريين.

حياة الإيمان تتكلم بصوت اعلى لغير المؤمنين وللمؤمنين الآخرين. إنها تشهد عن وجود الله الذي يسمع الصلاة. الايمان بعكس العيان؛ فعندما ترى بالعين فلا يمكنك السير بالايمان. وهكذا عندما تكنز ثروة تجعل حياة الإيمان مستحيلة.

عندما يصبح الشخص مؤمناً مسيحيًا، لا تاتي حياة الإيمان بطريقة تلقائية، لكنها تتطلب قرارا مقصوداً من جانبة. خصوصا في المجتمعات الثريّة. يجب أن يضع المؤمن نفسه في وضع يكون فيه مرغما على الثقة بالله. يمكنه عمل ذلك ببيع كل ما يملك واعطائه للفقراء. وكأنه يتخلص من كل الفائض الذي بحوزته وموارد الضمان الكاذبة، لكي يستطيع فعلا الابحار في العمق.

ليس هذا فقط بل من سبيل التحقير للرب أن نعيش كملوك في عالم ما زال يرفضه، وخدامه يُضطهدون فيه. لقد شبّه بولس الكورنثيين كمن هم جالسون على أغلى مقاعد في الملعب واضعين تيجاناً على رؤسهم ويرتدون افخر الملابس. وفي نفس الوقت صور الرسل في الميدان وهم جاهزون لتلتهمهم الوحوش الضارية. يقول في ١كورنثوس٤:٨-١٣ «انكم قد شبعتم، قد استغنيتم، ملكتم بدوننا. وليتكم ملكتم لنملك نحن ايضا معكم. فاني ارى أن الله ابرزنا نحن الرسل آخرين كأننا محكوم علينا بالموت. لأننا صرنا منظرا للعالم، للملائكة والناس. نحن جهال من أجل المسيح وأما أنتم فحكماء في المسيح. نجوع ونعطش ونُعرى ونُلكم وليس لنا إقامة. ونتعب عاملين بأيدينا. نُشتم فنبارك.

نُضطهد فنحتمل.يُفترى علينا فنعظ. صرنا كأقذار ووسخ كل شيء إلى الآن».

لقد ملك أهل كورنتوس قبل أن يملك المسيح نفسه. فان تتويج واحد من رعايا الملك قبل تتويج الملك نفسه اولا يعتبر تحقيراً فاضحاً للملك.

فتجميع الثروة هو عكس المثال الذي قدمه الرب يسوع. فقد كان غنياً بلا حدود، لكنه افتقر بكامل ارادته لكي يُغنينا نحن بفقره. (٢كورنثوس٨:٩).

يوجد في لغة العهد الجديد الاصلية كلمتان ترجمتا بمعنى فقير. احداها تعني حالة رجل عامل ليس لديه أكثر من قوته اليومي والثانية تعني فقيراً معدماً أو مجرداً من الغنى. وهذه هي الكلمة الثانية التي استعملها الرسول بولس لوصف الرب يسوع. كم منا يرغب أن يتبع الرب يسوع إلى النهاية؟

احد الشرور الاخرى للغنى هو أنه يضرّ بحياة الصلاة. فعندما يكون كل شيء متوفرا فلماذا نصلي؟ والاخطر من ذلك، الخجل عندما نسأل الله ليفعل اشياء نستطيع نحن أن نفعلها بانفسنا. على سبيل المثال، كم مرة نسأل الله أن يزودنا اموالاً من أجل مشاريع معينة نستطيع أن ناتي بها نحن بدون تأخير. ما أكثر المرات التي نبخل في اعطاء الرب من ماله الذي له.

اخيرا، من الخطأ على المؤمنين أن يهتموا بجمع المال، لأن ذلك يشجع الاخرين ليصبحوا مسيحيين بهدف الحصول على المال. لقد كان فقر المؤمنين الاوائل ذخراً لهم وليس ديناً عليهم.

العقيدة التي قلبت العالم رأساً على عقب، كان دعاتها الاوائل رجالاً فقراء، سددت احتياجاتهم الاساسية من السماء. فلو امتلك الرسل نقوداً ليمنحوها لسامعيهم أو كان وراءهم جيوش لإخافة الجموع، لأنكر المتشككون أن وراء نجاحهم كان شيئا رائعاً. لكن فقر تلاميذ الرب سحب البساط من تحت اقدام هؤلاء الكفار. ولكن مع تعليم غير مرغوب به في القلب الطبيعي، وبدون

وجود ما يمكن استعماله للرشوة وفرض الطاعة- فتن عدد من رجال جليليين فقراء المسكونة وغيروا وجه الامبراطورية الرومانية. وكان السبب الفريد في ذلك النجاح هو ايمانهم بإنجيل المسيح، بأنه كلمة الله.

كتب جيلمور المنغولي (Gilmour of Mongolia) «اذا ذهبت اليهم غنيا لاستمروا بالتوسل الي واعتبروني ليس أكثر من هبة لهم. ولكن إن ذهبت بدون شيء سوى الانجيل لن يعطل أي شيء اهتمامهم عن العطية التي لا يعبر عنها».

التقى بطرس ويوحنا بالاعرج عند باب الهيكل، عندما سألهم ليأخذ صدقة اجابه بطرس: «ليس لي فضة ولا ذهب ولكن الذي لي فإياه اعطيك باسم يسوع المسيح الناصري قم وامشٍ» (اعمال الرسل٣:٦).

ربما يقول بعضهم: يجب أن يكون الواعظون فقراء، ولكن ليس بالضرورة كل المسيحيين؟ لكن في اي مكان في الكتاب المقدس نجد هذا التعليم عن معايير اقتصادية مختلفة تختص بالمبشرين والمرسلين، وغيرهم الذين يبقون في البيوت؟

الفصل الثامن عشر

موضوع الاموال المجمّدة

اسهبنا في عرض أسباب الخطأ في اكتناز المسيحي للثروة، ولا بد أن نناقش بعض المزاعم الشائعة التي يستخدمها المؤمنون لتبرير جمعهم للمال لسد احتياجهم واحتياجات عائلاتهم المستقبلية.

الادعاء الاول هو كالتالي: أنه لمن الحكمة أن نوفر نقوداً لشيخوختنا، فماذا سيحدث لنا عندما نصبح عاجزين عن العمل؟ فنحن نتوقع دائما اليوم الممطر، الذي لا نستطيع أن نعمل فيه، والله يتوقع منا استعمال المنطق السليم لما سيحدث لنا.

يبدو هذا المنطق مقنعا، إلا أنه ليس لغة الإيمان، تصبح المذخرات هنا ركائز ودعامات بديلاً عن ثقتنا في الرب، لأننا لا يمكننا أن نؤمن عندما ترى.

عندما نقرر أن نوفر لمستقبلنا تقابلنا مشاكل اخرى مثل ما هو المبلغ الذي سيكون كافياً لنا؟ كم سنة سنعيش؟ هل سيكون هناك كساد أو تضخم؟ هل سنكون قادرين على تحمل تكاليف العلاج؟

يستحيل علينا معرفة تحديد المبلغ الذي يكفي، فنحن نصرف حياتنا في جمع الثروة لنوفر احتياجات سنوات قليلة بعد التقاعد، في ذات الوقت نكون قد سلبنا الله، في الايام التي قضيناها لتأمين حياتنا بطرق غير مضمونة.

جيد أن نعمل بنشاط من أجل احتياجاتنا الزمنية وأن نخدم الرب باذلين كل الجهد أن نضع كل ما يزيد عن احتياجاتنا الحاضرة في عمل الرب، ونثق به من جهة المستقبل، لأنه وعد من يضعه في المقدمة «وهذه كلها تزاد لكم» (متى٦:٣٣).

كتب الرسول بولس لأهل فيلبي الذين استخدموا اموال الرب، في نشر الحق «فيملأ الهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع» (فيلبي٤:١٩).

هناك مأساة لا يمكن التعبير عنها في الفلسفة القائلة أن ينفق الشخص عمره في جمع الثروة على أمل أن يعطي وقت تقاعده للرب. وهذا يعني أن نعطي افضل سنوات عمرنا لعمل في مصلحة تجارية، ثم نعطي الرب البقية الذابلة من حياتنا ليسوع، وحتى هذه البقية الذابلة ليست مضمونة. عادة ما تنتهي قبل أن نزيل الغبار عن كتابنا المقدس ولا نستطيع درس كلمته كما ينبغي بسبب ضعف جسدنا وتهالك قوانا.

يبدو منطقياً أن نوفر لليوم السيء. ولكن حقيقة الأمر هي كما وضحها **كاميرون تومسون** Cameon Thompson «أن الله يسكب بركاته المختارة على التواقين بأن لا يلتصق شيء بايديهم. اما الذين يهتمون بأمور الغد الماطر، أكثر من اهتمامهم بالعالم المتألم فلا يحصلوا على أيّة بركات من الله».

الادعاء الثاني يستعمل لتبرير ادّخار المال على الارض مبني على رسالة تيموثاوس الاولى٥:٨ «وإن كان احد لا يعتني بخاصته، ولا سيما اهل بيته، فقد أنكر الإيمان، وهو شر من غير المؤمن».

في هذا المقطع يتعامل بولس مع موضوع الاعتناء بالأرامل في الكنيسة، يقول أنه من مسؤوليات اقرباء الأرملة المؤمنين أن يعتنوا بها، وإن لم يكن لها أقرباء ليقوموا بهذه المسؤولية فيتحتم على الكنيسة أن تعتني بها.

والشيء المهم هنا أن بولس لا يتكلم عن ادخار المال لإعالة الأرملة في المستقبل ولكنه يتكلم عن احتياجاتها الحاضرة. فعلى المؤمنين أن يعتنوا بالاقرباء المعوزين كل الايام، وإن لم يفعلوا ذلك، فهذا إنكار عملي للإيمان المسيحي الذي يعلم الحب والكرم المسيحي، حتى غير المؤمنين يهتموا باقربائهم، فالمؤمنون الذين لا يفعلون ذلك يكونون اسوأ من غير المؤمنين.

هذا العدد لا يتحدث ابداً عن الادخارأو المنح او الاموال المستثمرة في البنوك. ولكنه يتعامل مع الاحتياجات الحالية وليس الالتزامات المستقبلية.

الادعاء الثالث له علاقة وثيقة بالادعاء الثاني. حيث يعمل بعض الاباء المؤمنين على ترك ميراثا كبيرا لأبنائهم، ويعتقدون أن ذلك العمل هو المقصود به بأن يعتني الشخص بخاصته (١تيموثاوس٨:٥) ولا فرق لديهم إن كان ابناؤهم مؤمنين ام لا، فرغبتهم الملّحة هي أن يخلفوا لأبنائهم، ذخيرة محترمة.

احياناً تستخدم الآية الواردة في رسالة كورنثوس الثانية١٤:١٢ في التعليم بأن الأباء يجب أن يوفروا الأموال لكي يتركوها لأبنائهم. تقول الآية «...لأنه لا ينبغي أن الأولاد يدخرون للوالدين بل الوالدين للاولاد».

كما ذكرنا آنفا «فإن السياق لهذا الجزء يعالج موضوع احتياجات بولس المالية. لم يستلم اي مال من الكورنثوسيين، بل استلم تقدمات من كنائس اخرى بينما كان قد بَشّرَ في كورنثوس (٢كورنثوس١١:٧-٨). والآن يخبرهم أنه مستعد للعودة اليهم ثانية، لكنه يؤكد لهم بأنه لن يكون عبئا عليهم (٢كورنثوس١٤:١٢)، بمعنى أنه لن يطلب أي معونة مالية منهم، لم ينظر إلى ما كانوا يمتلكون، لكنه جعل كل همه في تقدمهم الروحي فحسب.

عند هذه النقطة يضيف قائلا «...لأنه لا ينبغي أن الأولاد يدخرون للوالدين، بل الوالدين للأولاد». فالكورنثيون كانوا الأولاد وكان بولس الأب (١كورنثوس١٥:٤). كان يقول لهم بسخرية واضحة- إن لم يهتموا به فسوف يهتم هو بهم ويعمل على نموهم الروحي. قال لهم ذلك ساخرا لأنهم كان يجب عليهم أن يهتموا بدعمه (١كورنثوس١٤،٩:١١)، لكنه اختار أن يتخلى عن حقه هذا الذي كان له عندهم.

والنقطة الهامة التي يجدر الأنتباه إليها هي أن هذا المقطع لا يتكلم ابداً عن تخزين الاحتياطيات للمستقبل. فلم يكن ذلك هو موضوع البحث على

الاطلاق ولكنها كانت مسألة احتياجات راهنة، فكأن بولس يقول «على العموم فالاولاد لا يدّخرون في العادة لآبائهم، بل الأباء هم من يدخرون لاولادهم».

والشيء الاكيد والجديربالذكر هو أن مسألة بناء ميراث للأبناء لا تجد لها أي سند في العهد الجديد. لذلك فأفضل ميراث يمكن للأباء أن يخلفوه لأبنائهم هو الميراث الروحي، أما إنشغالهم بأكتناز الأموال، فيمكن أن يعيق تقدمهم واهتمامهم للميراث الروحي.

فكر في كل الشرور التي نشأت من وراء التركات المالية التي خلفها المؤمنون وراءهم،

العديد من حديثي السن تحطموا روحيا، بسبب حصولهم فجأة على ثروة طائلة، فسكروا في غمار الأمور المادية والملذات، وتركوا خدمة المسيح.

ثم فكر ايضا في الصراعات التي نشبت بين العائلات المسالمة نتيجة الفروق الاقتصادية والاجتماعية التي بين الاشخاص، فالاخت تغار من اختها وكذا الاخ من اخيه، ومشاحنات مريرة تستمر طيلة الحياة. فالخلافات والمنازعات العائلية بسبب وصية ميراث،

لقد ورد في إنجيل لوقا١٢:١٣-١٤، عن نزاع عائلي على الميراث وقد رفض الرب يسوع التدخل فيه. فهو لم يأتِ على الارض لمثل هذا العمل. لكنه لم يتوانَ في اصدار تحذيرٍ شديدٍ ضد الطمع، لهذا الرجل البائس الذي لم يذكر اسمه في الوصية.

والآن نجد أنفسنا أمام وضع كهذا: الأباء الذين عملوا باجتهاد كل حياتهم ليتركوا شيئا لأولادهم، بمرور الأيام يصبحون مسنين ومقعدين وغير قادرين على الاستمرار برعاية اولادهم، فالاولاد الغير شكورين ينتظروا بفارغ الصبر موت والديهم ليضعوا ايديهم على المال.

وعندما يكون هذا المال في يد الابن غير المؤمن او ابن او الابنة المتزوجين

بغير مؤمن، واذا وصل هذا المال لكنيسة غير صحيحة، يكون وسيلة في تقييد نشر البشارة بدل من إنتشارها. فكر في هذا! أموال المؤمنين تستخدم في محاربة الحق!

كما علينا أن نفكر ايضا في المبالغ الطائلة التي تُدفع للحكومة كضريبة على الإرث، والتي تُدفع للمحامين رسوم ومصاريف قانونية، كل هذا المال كان يمكن أن يستخدم في خلاص النفوس.

يحاول بعض المؤمنين أن يتجنبوا بعض من هذه المآسي بأن يتركوا أموالهم لمنظمات مسيحية، ولكن لا يوجد ما يضمن أن تؤول هذه الاموال لتلك المنظمات، فالوصايا يواجهها التحدي دائما، بل تُفسخ. بالاضافة إلى هذا فلا نجد اي دعم كتابي يبرر ممارسة جمع المال وترك الارث. لا ضمان بأن هذه المنظمات ستبقى امينة للرب والحق كل الوقت إلى أن يتم تنفيذ الوصية.

والجدير بالذكر أن المؤمنين لن يُكأفأوا على ما تركوه في الوصية، وذلك لأن كل ما يتركونه لا يكون لهم لحظة وفاتهم، بل يكون للورثة، مكتوب «الإنسان يَذخَرُ ذخائرَ ولا يدري من يضُمها» (مزمور٦:٣٩). لهذا فالطريقة الوحيدة التي فيها تتأكد من أن نقودك تُستخدم للرب هي أن تعطيها وانت على قيد الحياة لتحصل على المكافأة في المستقبل.

نقول أننا نؤمن بمجيء الرب القريب؟ إذن يجب أن ندرك أننا كلما اقترب موعد مجيئة كلما قلت قيمة ممتلكاتنا المادية. فعند مجيء الرب، ستزول أهمية ممتلكاتنا وسينتهي الوقت للعمل بها في الخدمة، لذلك فالطريق الأفضل هو أن نضع ممتلكاتنا في خدمة الرب يسوع الأن.

بعد ذلك ياتي الجدل التالي: «إذا وضع كل واحد الزيادة عن ضروريات الحياة في عمل الرب، فكيف سنعيش؟

الإجابة هي «بالإيمان أكثر منه بالعيان» ولا جدوى من الادعاء بأن هذا المبدأ لا يصلح الآن لأنه نجح في ايام الكنيسة الأولى.

«جميع الذين آمنوا كانوا معا» وكان عندهم كل شيء مشتركا. والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج (اعمال الرسل٢:٤٤-٤٥). «لم يكن بينهم أحدٌ محتاجاً لأن كل الذين كانوا اصحاب حقول او بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند ارجل الرسل. فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج» (اعمال الرسل٤:٣٤-٣٥). وفي رسالة الرسول بولس إلى اهل كورنثوس، علم أنَّ ممتلكاتنا المادية يجب أن تكون سائلة وليست مجمّدةً. بمعنى أننا عندما نلمس احتياجاً حقيقياً في عمل الرب يجب أن تسرع اموالنا لسدّ هذا الاحتياج. وبنفس المقياس، وكذلك الامر عندما نكون نحن في احتياج نجد أن المال يرِد لسد هذا الاحتياج. وبهذه الطريقة ستكون هناك مساواة بين شعب الرب. «فإنه ليس لكي يكون للآخرين راحة ولكم ضيق بل بحسب المساواة. لكي تكون في هذا الوقت فضالتكم لإعوازهم كي تصير فضالتهم لإعوازكم حتى تحصل المساواة. كما هو مكتوب الذي جمع كثيرا لم يفضِل والذي جمع قليلا لم ينقص» (٢كورنثوس٨:١٣-١٥).

وبكلمات اخرى، إن كان احد يعيش بالحقيقة حياة مكرسة للرب وكان أمينا في وكالته على ممتلكاته، فسيكون هناك مؤمنون آخرون يكونون على اتم الاستعداد ليشاركوه بسرور في وقت احتياجه.

إن كنا امناء مع أنفسنا، يجب أن نعترف أن فكرة الاعتماد على آخرين هي فكرة مستهجنة عندنا، بل إننا فخورون باستقلاليتنا، أليس ذلك بمثابة الإعلان عن الذات، وليس دليلا على حياة الرب فينا.

إن تعليمات بولس الواردة في رسالة تيموثاوس الأولى٥:٣-١٣ بخصوص الاعتناء بالأرامل مسلّم بها أنها تخص وجود كنيسة تسود فيها محبة الرب

التي تشمل قلوب المؤمنين هناك حيث يتبادل القديسون الاهتمام بعضهم ببعض، حيث تنتقل الاموال بحرية لسداد الأحتياجات الحقيقية الموجودة. فإن كنا مقتنعين أن ما نجح في ايام الكنيسة الاولى لا ينجح اليوم، فالإجابة هي ببساطة: بأنه ناجح اليوم لأنه يوجد قديسون يحيون حياة الإيمان، كما توجد قوة وجاذبية في حياتهم لا يمكن إنكارها.

يعترض أحدهم قائلا: الم يقل بولس «اعرف أن اتضع واعرف ايضا أن استفضل» (فيلبي٤:١٢)؟ من الواضح أن السائل هنا يصور اتضاع بولس في أثناء تجواله في الصحراء التي لم تدسها قدم، وهو في جوع وعطش وضنك بملابسه الرثة، ونعله البالي. إلا أنه يصوره في استفضاله وكأنه الشاب ذو البشرة البرونزية، الذي يترجل من عربته المتنقلة، ليذهب إلى شاطيء بحر هاديء، ليقضي اسبوعين من الرفاهية في سهول امريكا، وبكلمات اخرى، يمكنه العيش بخشونة او برفاهية ورخاء.

لكن هذا ليس بالضبط ما يقوله بولس في رسالته إلى اهل فيلبي. وعلينا أن نتذكر أنه كتب وهو في السجن، وليس في منتجع سياحي. فكتب وهو مسجون «وَلَكِنِّي قَدِ اسْتَوْفَيْتُ كُلَّ شَيْءٍ وَاسْتَفْضَلْتُ. قَدِ امْتَلأْتُ إِذْ قَبِلْتُ مِنْ أَبَفْرُودِتُسَ الأَشْيَاءَ الَّتِي مِنْ عِنْدِكُمْ، نَسِيمَ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ، ذَبِيحَةً مَقْبُولَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ.» (فيلبي٤: ١٨).

قد نظن أن سجن بولس سيكون في جانب الاستصغار في حساباته، إلا أنه وصفه بأنه جانب الاستفضال، وعليه فإنه من غير الصحيح لنا أن نستخدم هذه الآية الواردة في فيلبي٤:١٢ لتبرير حياة الغنى والترف، هذا ليس ما يعلمه العدد.

حسنا، ماذا عن الشاهد الكتابي الذي يقول أن الله منحنا كل شيء بغنى للتمتع؟ (١تيموثاوس٦:١٧). كثيرا ما يُقتبس هذا الشاهد لكي يُستخدم كدليل كتابي على أن المؤمن ينبغي أن يتمتع بأمور هذه الحياة. مما يعني أنه من

حقه أن يُغرق نفسه بالاحدث والافضل، ويكون شعاره، «لا شيئ جيد بما فيه الكفاية لشعب الله» اي أنه يحل له كل شيء للتمتع. ولكن كثيرا ما ينسى ذلك الشخص السياق الذي جاء فيه هذا الكلام، لهذا يجب أن نلاحظ مرة اخرى كيف يبدأ هذا الشاهد «اوصي الاغنياء في الدهر الحاضر أن لا يستكبروا ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى...» (١تيموثاوس١٧:٦). بعبارة اخرى، بعيدا عن كونها عذرا للإنغماس الذاتي، فإن الآية وجدت في السياق كتحذير مهيب لنا من الغنى.

حسناً، فماذا يعني، إن الله منحنا كل شيء بغنى للتمتع؟ إنها تعني أن الله لم يمنحنا هذه الاشياء لتخزينها، لكنه يريدنا أن نتمتع بها من خلال مشاركتنا اياها مع الأخرين. وهذا واضح من العددين التاليين للآية المذكورة

«وَأَنْ يَصْنَعُوا صَلاَحاً، وَأَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ فِي أَعْمَال صَالِحَة، وَأَنْ يَكُونُوا أَسْخِيَاءَ فِي الْعَطَاءِ كُرَمَاءَ فِي التَّوْزِيعِ، مُدَّخِرِينَ لأَنْفُسِهِمْ أَسَاساً حَسَناً لِلْمُسْتَقْبَلِ، لِكَيْ يُمْسِكُوا بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ.» (١تيموثاوس١٨:٦-١٩).

التمتع بالغنى لا يكون باقتنائه، بل باستخدامه لمجد الرب ولصالح الآخرين.

عادة ما نتذكر أن ابراهيم كان رجلاً ثريا (تكوين٢:١٣)، ومع ذلك فقد دعيَ خليل الله (يعقوب٢٣:٢). وهذا بالطبع صحيح، ولكننا يجب أن نتذكر أن ابراهيم عاش في فترة العهد القديم حيث كانت الوعود بالبركات الارضية لكل الذين يطيعون الرب، فالثروة كانت علامة على بركة الرب، فهل هذا صحيح في تدبيرنعمة الله؟ إنه من الملائم أكثر أن نقول أن الضيق هو بركة هذا العصر.

في مثل لعازر والرجل الغني (لوقا١٩:١٦-٣١)، نرى أن معايير العهد القديم إنعكست، الرجل الغني قد دين بسبب فشله في استخدام ثروته لمنفعة الآخرين لكنه ابقاها لنفسه.

« اذْهَبْ إِلَى النَّمْلَةِ أَيُّهَا الْكَسْلاَنُ. تَأَمَّلْ طُرُقَهَا وَكُنْ حَكِيماً. الَّتِي لَيْسَ لَهَا قَائِدٌ أَوْ عَرِيفٌ أَوْ مُتَسَلِّطٌ وَتُعِدُّ فِي الصَّيْفِ طَعَامَهَا وَتَجْمَعُ فِي الْحَصَادِ أَكْلَهَا.» (امثال٦:٦-٨). الا يرينا هذا أن النملة تجمع لمستقبلها وأنه طُلب منا تقليدها في هذا المجال؟ نعم، ولكن من الضروري أن نتذكر أن مستقبل النملة كان على هذه الارض فقط، أما مستقبل المؤمن المسيحي هو في السماء. فالمؤمن هو سائح وغريب هنا، موطنه في الأعالي. وعليه أن يجمع كنوزا لذلك المستقبل.

أما فيما يتعلق بحياته على الارض فمن غير المسموح له أن يقلق بشأن غده. ماذا سيأكل أو ماذا سيلبس (متى٦:٢٥). بل طلب منه بالحري أن يتأمل طيور السماء التي لا تجمع إلى مخازن بل ابونا السماوي يقوتها، فإن كان الله يهتم بالطيور الا يعتني بنا!

جدَل اخير: وهو أنه لا بد لأحد أن يكون غنياً ليوصل رسالة الإنجيل إلى الاغنياء. فإن مؤمني الكنيسة الاولى لم يدركوا ذلك.

والتاريخ يخبرنا أن العديد من المؤمنين الاوائل كانوا تواقين لحمل إنجيل المسيح إلى كل مكان وأنهم عملوا كخدام أو حتى باعوا أنفسهم كعبيد ليدخلوا إلى بيوت الاغنياء والعظماء من الوثنيين ويعيشوا هناك حتى تتاح لهم الفرصة ليخبروا تلك البيوت عن محبة الرب يسوع وخلاصة.

الفصل التاسع عشر

ماذا يقول الكتاب

لقد تَمّت مناقشة الدعاوي الرئيسية التي تستخدم كمبررات للمسيحيين لكي يعيشوا في غنى هذا العالم حيث يعم الفقر المدقع. ويتضح لنا أمام هذا التناقض الساخر ضعف الدعاوي المقدمة امام النصوص العديدة في الكتاب المقدس والتي تحذرنا من مخاطر الغنى

«الرجل الأمين كثير البركات، والمستعجل إلى الغنى لا يبرأ... ذو العين الشريرة يعجل إلى الغنى، ولا يعلم أن الفقر يأتيه» (امثال٢٨:٢٠-٢٢).

إن السعي وراء الثروات المادية لهو هدف لا يليق بأولئك الذين خلقهم الله على صورته ومثاله .

«لا يقدر أحد أن يخدم سيدين، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال» (متى٦:٢٤).

فالله والمال يبرزان هنا كسيدين تتعارض مصالحهما بشكل كبير يستحيل معه خدمتهما معاً. فهو بمثابة الضربة المميتة أمام رغبتنا في أن نعيش لاجل عالمين. أن نكون اغنياء الان ولاحقاً، أن نتمتع بالثروة على الأرض ونُكافيء عنها في السماء. لقد اوضح الرب يسوع بأنه لا يمكننا الحصول عليهما معاً.

فقال يسوع لتلاميذه: «الحق الحق اقول لكم أنه يعسُر أن يدخل غني إلى ملكوت السموات! واقول لكم ايضا أن مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله!» فلما سمع تلاميذه بُهتوا جدا قائلين: «إذا من يستطيع أن يخلص؟» فنظر اليهم يسوع وقال لهم «هذا عند الناس غير مستطاع، ولكن عند الله كل شيء مستطاع» (متى ١٩:٢٣-٢٦).

اتساءل إن كنا نأخذ كلمات الرب يسوع على محمل الجد. فالرب يسوع لم يقل أنه من الصعب على الغني أن يدخل ملكوت الله. بل قال أن ذلك مستحيل بشريا.

فسّر البعض ثقب الابرة بأنه الباب الأصغر في بوابة المدينة التي يجب على الجمل أن ينحني ليدخل من خلاله. ولكن الابرة المشار اليها هنا هي ابرة الخياطة والتي لا يمكن لأي جمل أن يمر من خلال عينها. بمعجزة الهية فقط يُمكن الغني من دخول الملكوت. فلماذا نجتهد في الدفاع عن هذا الفكر بينما هو حاجز أمام غنانا الأبدي

«ولكن ويل لكم أيها الأغنياء لإنكم قد نلتم عزاءكم» (لوقا٦:٢٤). لقد أعلن ابن الله القدوس الرب يسوع، أن الويل هو للأغنياء. ولا يمكننا إلا أن نأخذ كلمة «الأغنياء» بمعناها الحرفي، فهي تعني الأغنياء. فلماذا نسعى أن نبارك اولئك الذين لم يباركهم الله؟.

«بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة. إعملوا لكم اكياسا لا تفني وكنز لا ينفد في السموات، حيث لا يقرب سارق ولا يُبلي سوس، لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك» (لوقا١٢:٣٣-٣٤). لقد قيلت هذه الكلمات للتلاميذ (انظر العدد٢٢). ونحن نحاول تجنبها بإدعائنا أنها لم تقصدنا نحن! وكيف لا تقصدنا، ونحن عندما نقاوم هذه الآيات نعطل البركات.

إنه من الملائم لنا ما دمنا نعيش في عهد النعمة أن نبيع مقتنياتنا الثمينة مثل: «مجوهراتنا، الرسومات الاصلية، أثاثنا الثمين، فضتنا اللامعة. ووضع الحصيلة لخلاص النفوس في ارجاء المعمورة. أين هي قلوبنا؟ هل هي في خزينتنا البنكية أم في السماء؟ «لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك ايضا» «فلما سمع يسوع ذلك قال له يعوزك أيضا شيء بع كل مالك ووزع على الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني، فلما سمع ذلك حزن لأنه كان غنيا جدا» .(لوقا١٨:٢٢-٢٣).

يقال لنا عادة أن الشاب الغني هو حالة خاصة وأن وصية الرب بأن نبيع كل ما لنا لا تقصد الجميع. ولكننا إن أمعنا النظر سنجد أن هذه الوصية لا تختلف فعليا عن الوصية المذكوره في انجيل لوقا١٢:٣٣-٣٤.

«وأما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة. لأننا لم ندخل العالم بشيء ، وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء . فإن كان لنا قوت وكسوة، فلنكتفِ بهما. وأما الذين يريدون أن يكونوا اغنياء، فيسقطوا في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومُضرة، تُغرّق الناس في العطب والهلاك. لأن محبة المال اصل لكل الشرور، الذي اذا ابتغاه قوم ضلوا عن الايمان، وطعنوا انفسهم بأوجاع كثيرة» (١تيموثاوس٦:٦-١١).

حدّد الرسول بولس أولئك الذين يشتهون المال أنهم يطعنون أنفسهم بأوجاع كثيرة. فما هي الاوجاع التي اشار إليها الرسول؟

الأول: هو ما ثبت أنه يرافق الغنى،

«وَفرْ الغنى لا يريحه حتى لا ينام» (جامعة٥:١٢).

فبدلا من أن يجلب الغنى الامان كما هو مفروض، إلا أن الواقع هو العكس – خوف دائم من السرقة، التضخم أو هبوط حاد في سوق البورصة.

والثاني: هو الأسى عند رؤية ابن احدهم مفسدا روحيا « من وفرة الأمور المادية. قلة من أبناء المؤمنين الأغنياء يسيرون في طريق الرب.

ثم المرارة التي نشعر بها عندما تخذلنا الثروة في وقت الحاجة الماسة لها.

الرجل الغني لا يمكنه معرفة كم من الاصدقاء لديه. ويبدو هذا مناقضا لقول الكتاب «ايضا من قريبه يُبْغض الفقير، ومحبو الغني كثيرون» (امثال١٤:٢٠) ولكن هل هؤلاء اصدقاء حقيقيون- أم يدعون ذلك لأسبابهم الأنانية؟

والثروة حتما لا تشبع القلب ولكنها تولّد جوعا مستمرا للمزيد منها (جامعة٢:٨، ٤:٨، ٥:١٠).

وأخيرا: فالغنى له إنعكاس سلبي على الشخصية، مثل الغرور (امثال٢٨:١١)، والقسوة (امثال١٨:٢٣؛ يعقوب٢:٥-٧)، فمثلاً،

يذكرنا هنري ماثيو:

بأن الكلمة العبرية للغنى تعني «للثقل»، فالثروة عبء- عبء عند جنيها وعبء في الحفاظ عليها- وفيها عبئ الوقوع في تجربة- وعبء الحزن والأسى.

«أوصٍ الاغنياء في الدهر الحاضر أن لا يستكبروا، ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى، بل على الله الحي الذي يمنحنا كل شيء بغنى للتمتع. وأن يصنعوا صلاحا، وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة، وأن يكونوا أسخياء في العطاء، كرماء في التوزيع، مُدخرين لأنفسهم اساسا حسنا للمستقبل، لكي يمسكوا بالحياة الأبدية». (١تيموثاوس٦:١٧-١٩).

الاعداد السالفة التي ذكرها «توصي الأغنياء...» ومع هذه كم من خدام الرب ينفذون هذه المأمورية، كم منا تحدّى الأغنياء بهذه الوصايا؟ لعل معظمنا لم يسمع عظة عن الأعداد الكتابية المذكورة اعلاه، ومع هذا فلم نكن في اي وقت مضى احوج لهذه الوصية من الآن.

حتى نعلّم هذه الوصايا علينا أن نحياها اولا، فإن كنا نحياها بالعيان لا بالإيمان، فلا نقدر أن نوصي الآخرين بأن لا يكنزوا لهم كنوزا على الأرض، لأن حياتنا تسدّ أفواهنا.

يبحث الله عن رجال من نوع الانبياء، يقدمون كلمته بدون خوف من النتائج. رجال مثل عاموس الذي صرخ قائلا: «اسمعي هذا القول يا بقرات باشان التي في جبل السامرة، الظالمة المساكين، الساحقة البائسين، القائلة

لسادتها، هات لنشربها، قد اقسم السيد الرب بقسمه، هوذا أيام تأتي عليكن، يأخذنكن بخزائم، وذريتكن بشصوص السمك، ومن الشقوق تخرجن كل واحدة على وجهها، وتندفعن إلى الحصن، يقول الرب» (عاموس٤:١-٣). ورجال مثل حجي الذي قال موبخّا: «هل الوقت لكم أن تسكنوا في بيوتكم المغشاة، وهذا البيت خراب؟» (حجي١:٤).

بالطبع لم يكن للأنبياء شعبية، بل كان وجودهم يسبب حرجا لمعاصريهم. وكانوا فقراء بلا مال، ومرفوضين اجتماعيا. وكانوا يُضطهدون احيانا، وإن لم يسكتهم شيء كانوا يُقتلون. ومع ذلك قد فضلوا كلمة الحق عن أن يعيشوا حياة كاذبة.

تقف المادية والثروة أمام تدفق القوة الروحية في كنيسة اليوم فلن تحدث النهضة الروحية طالما عاش المؤمنون كالملوك. من ذا الذي سيقف مناديا شعب الرب بالعودة إلى حياة الايمان والتضحية؟ من ذا الذي سيُري العالم كيف يتمسكوا بالحياة الحقيقية (١تيموثاوس٦:١٩).

كتب س. هـ. ماكنتوش «الحياة الحقيقية الوحيدة التي نحياها هي التي نحياها في ضوء الأبدية. أن نضع كل ما نملك لمجد الرب وعيوننا على الكنوز الأبدية. هذه هي الحياة الأفضل».

وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَباتِّضَاعه، لأَنَّهُ كَزَهْرِ الْعُشْبِ يَزُولُ. لأَنَّ الشَّمْسَ أَشْرَقَتْ بِالْحَرِّ، فَيَبَّسَتِ الْعُشْبَ، فَسَقَطَ زَهْرُهُ وَفَنِيَ جَمَالُ مَنْظَرِهِ. هَكَذَا يَذْبُلُ الْغَنِيُّ أَيْضاً فِي طُرُقِه.»(يعقوب١١١:١٠). لم يقل للغني هنا أن يفتخر بغناه، بل بكل ما يأتي به للتواضع، لأن الغنى يزول مثل العشب. بينما الدروس الروحية التي نتعلمها لها قيمة ابدية.

«هَلُمَّ الآنَ أَيُّهَا الأَغْنِيَاءُ، ابْكُوا مُوَلْوِلِينَ عَلَى شَقَاوَتِكُمُ الْقَادِمَة. غنَاكُمْ قَدْ تَهَرَّأَ، وَثِيَابُكُمْ قَدْ أَكَلَهَا الْعُثُّ. ذَهَبُكُمْ وَفِضَّتُكُمْ قَدْ صَدِئَا، وَصَدَأُهُمَا يَكُونُ

شَهَادَةً عَلَيْكُمْ، وَيَأْكُلُ لُحُومَكُمْ كَنَار! قَدْ كَنَزْتُمْ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ. هُوَذَا أُجْرَةُ الْفَعَلَةِ الَّذِينَ حَصَدُوا حُقُولَكُمُ الْمَبْخُوسَةُ مِنْكُمْ تَصْرُخُ، وَصِيَاحُ الْحَصَّادِينَ قَدْ دَخَلَ إِلَى أُذْنَيْ رَبِّ الْجُنُودِ. قَدْ تَرَفَّهْتُمْ عَلَى الأَرْضِ وَتَنَعَّمْتُمْ وَرَبَّيْتُمْ قُلُوبَكُمْ، كَمَا فِي يَوْمِ الذَّبْحِ. حَكَمْتُمْ عَلَى الْبَارِّ. قَتَلْتُمُوهُ. لاَ يُقَاوِمُكُمْ! «.(يعقوب٥:١-٦).

يحذر روح الرب هنا من تخزين الثروات (عدد٣)، ودفع اجور مبخوسة للفعلة (عدد٤). وحياة الرفاهية (عدد٥)، والحكم الظالم على الأبرياء (عدد٦). لا حاجة لنا هنا لاي مناقشة فيما اذا كانت هذه الآيات تخاطب المسيحيين الحقيقيين ام لا. فما دامت تنطبق علينا فعلينا إطاعتها.

«لأَنَّكَ تَقُولُ: إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ، وَلاَ حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ، وَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَائِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ. أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَباً مُصَفًّى بِالنَّارِ لِكَيْ تَسْتَغْنِيَ، وَثِيَاباً بِيضاً لِكَيْ تَلْبَسَ، فَلاَ يَظْهَرُ خِزْيُ عُرْيَتِكَ. وَكَحِّلْ عَيْنَيْكَ بِكُحْلٍ لِكَيْ تُبْصِرَ. إِنِّي كُلُّ مَنْ أُحِبُّهُ أُوَبِّخُهُ وَأُؤَدِّبُهُ. فَكُنْ غَيُوراً وَتُبْ» (رؤيا٣:١٧-١٩).

كانت هذه رسالة الرب الختامية للكنائس ورسالته القاطعة لكنيسة اللاودكيين. لا تحتاج رسالته إلى تفسير فنحن ندرك معناها ونعلم أن لها تطبيقا محددا في حياتنا، وانما تحتاج إلى الطاعة.

تحذير من الكسل

هناك دائما خطورة أن يُستخدم هذا الفصل كمبرر للكسل، فقد يقرأه أحد الكارهين لعمله فيقول هذا ما اؤمن به.

حسنا ليس هذه الرسالة موجهة للكسإلى أو الذين يعتقدون أن على العالم (أو الكنيسة) أن تؤّمن لهم معيشتهم.

لكن عند الله رسالة أخرى لهؤلاء: «إنهض من فراشك وإذهب للعمل».(راجع

تسالونيكي٣:٦-١٢).

هذه الرسالة موجهه إلى الجادّين والمنتجين والعاملين باجتهاد. هؤلاء الذين يجتهدون لتسديد الاحتياجات اليومية لعائلاتهم. أؤلئك إن اعطوا الأولوية للرب في حياتهم واهتموا بما هو لله يمكنهم الأعتماد على الله لتسديد احتياجهم في المستقبل.

تحذيرمن الحكم على الآخرين

شيء آخر علينا أن نتجنبه هو الحكم على الآخرين بسبب ممتلكاتهم المادية. علينا أن لا نحكم على الآخرين ولا أن نشكك في اخلاصهم للرب.

إن اعلان مباديء كلمة الله بخصوص الغنى شيء، والدخول إلى بيوت المسيحيين الحقيقيين وأخذ إنطباع عن ممتلكاتهم ورفع اصبع التوبيخ لهم لهو شيء آخر.

جميعنا مسؤول عن سماع ما يريد الله أن يقوله، وبعد ذلك علينا أن نطبقها في حياتنا. فأحتياجات الأسرة الكبيرة هي اكبر من احتياجات الفرد الواحد.

لا يمكننا أن نملي على الآخرين ما يمكن أن تعنيه كلمة الرب بالنسبة لهم حتى يطيعوها. كوكلاء سيقدم كل منا حسابا عن نفسه وليس عن الآخرين. ليت الرب يحررنا من إنتقاد الآخرين والحكم عليهم.

الخلاصة

توضح كلمة الرب للمؤمنين الحقيقيين كيف عليهم أن يكونوا مكتفين بما عندهم من مأكل وملبس ومسكن ويكونوا مجتهدين في تسديد احتياجات عائلاتهم، ويقدموا ما يفيض لعمل الرب. ولا يسعوا في تأمين احتياجاتهم المستقبلية بل يثقوا في الرب لتسديدها، فيكون هدفهم الأسمى هو خدمة السيد وكل شيء آخر دونه.

هذه هي الحياة التي يعلمنا إياها الانجيل. ومورست في سفر الأعمال. واعلنت في الرسائل. ومثالنا العظيم هو الرب يسوع نفسه. ولكن يبقى السؤال الأساسي هنا «كيف أطبق ذلك عمليا في حياتي؟ ماذا علي أن افعل؟».

اول شيء: أن نقدم انفسنا لله (٢كورنثوس٨:٥). فعندما نكون له بالكلية، من المؤكد أن ممتلكاتنا ستكون له ايضا.

ومن ثم عندما يضع الرب اصبعه على نواحي مختلفة في حياتنا علينا بإطاعته فورا. من المحتمل أن يخلق فينا الرب شعورا بعدم الأرتياح تجاه تناول الطعام في مطاعم فخمة؟ أو صرف النقود على ادوات رياضية باهظة الثمن. عندما نضع عيوننا على أحدث عروض الأزياء والسيارات الفخمة قد يحول عيوننا عنها حتى نتمكن من امتلاك سيارة اقل ثمنا ونضع الفارق في دعم إنتشار رسالة الإنجيل. قد يقيم ثورة على خزانة ملابسنا حتى يكسي الكثيرين بثوب البر. ربما يشير إلى مكان عمل اقل استغلالاً لوقتي. قد نفقد محبتنا للبيوت الفخمة وننتقل إلى بيوت أكثر تواضعا.

عندما يبدأ الله يكلمنا عن هذه الأمور، سنعرف ذلك. ورفضنا لكلامه سيكون عصيانا واضحا.

والأمر الثالث هو: «كل ما يقوله الله افعله» (يوحنا٢:٥). قد يسيء الاصدقاء فهمك وقد يوبخك الأقرباء. سيكون هناك ردود فعل. فقط اتبع المسيح ودع الباقي له.

ضع كل ما يزيد عن احتياجاتك اليومية في عمل الرب. صّلِ من أجل الارشاد. اسأله فيرشدك إلى حيث تضعها، وسيفعل!

ليت الرب يسمح فيرينا في أنفسنا وفي جيلنا العودة إلى هذا النوع من التكريس. كما صلى جون وسلي مرة: «ليت الرب يمنحني الشيء الذي طالما تقت اليه! فقبل أن انطلق ولا أعود أُرى بعد، أن أرى إناسا مخلصين لك بالكلية، مصلوبين عن العالم والعالم عنهم. إناساً مقدمين ذواتهم نفسا وروحا وجسدا! عندها يا لسعادتي عندما أقول «الأن تطلق عبدك يا رب بسلام».

إكسرني يا ربّ!

قبل سنين مضت، في اجتماع صلاة للمُرسَلين، سمعت شاباً مؤمناً متحمساً وهو يصلي: «يا رب، إكسرني!» وقد هزّني الطلب. فحتى تلك اللحظة من حياتي، لم اكن قد صليت تلك الصلاة. ولم اكن متأكداً من استعدادي لأن أصلّيها حتى في نفس اللحظة. لكن تلك الكلمات، المليئة بالحرارة من قلب ذلك التلميذ الشاب، ايقظتني على الإحتياج الهائل للإنكسار في حياتي. فقد تيقّظ فيّ الإدراك بأن الإنكسار هو جوهر رائع في النطاق الروحي. والآن اصبحت تلك الكلمات صلاة مستمرة لقلب توّاق: «يارب، إكسرني!»

الفصل العشرون

الله يُقدّر الأشياء المنكسرة

«إن إنكسار الروح التي لا تُبدي مقاومة لعمل يد الآب، هو عنصر رئيسي في اكثار النفوس التي يعمل الله فيها. فهو لا يبحث عن القوة فينا، بل الضعف، ليس المقاومة، بل التسليم له. فكل القوة هي له: قوته في الضعف تُكمل» (لكاتب مجهول).

بعد ثلاثين عاماً من كتابة أندرو مورّي لكتاب «أثبت في المسيح»

«Abide in Christ» قالِ: «اريدكم أن تعلموا أنه من الممكن أن يُقاد الخادم أو الكاتب المسيحي لقول اشياء أكثر من التي اختبرها فعلاً. فعندما كتبت «أثبت في المسيح» «Abide in Christ» لم اكن قد اختبرت كل ما قد كتبت. ولا أستطيع القول بأني قد اختبرته كله بشكل كامل الآن.»

ألم يكن بولس في نفس الروح عندما كتب: «لَيْسَ أَنِّي قَدْ نِلْتُ أَوْ صِرْتُ كَامِلاً، وَلَكِنِّي أَسْعَى لَعَلِّي أُدْرِكُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَدْرَكَنِي أَيْضاً الْمَسِيحُ يَسُوعُ.» (فيلبي٣:١٢).

أنا اشارك نفس الشعور بالنسبة للفصل التالي «يا رب، إكسرني!» ، فأنا مُثقّل من الرب أن اكتب هذه الأشياء. فالحقيقة رائعة وملحّة جداً من أن تُحفظ بعيداً بسبب أنني ببساطة فشلت في اختبارها بشكل كامل. فإني أجعل من الأشياء التي اكتبها وحي قلبي مهما امتد فشلي في تطبيقها.

الفصل الحادي والعشرون

يريدنا الله جميعا أن نكون منكسرين

عادة عندما ينكسّر شيء ما، تنقُص قيمته أو يصبح بلا قيمة. وعاء مكسور، قنينة أو مرآة مكسورة هي بشكل عام، بلا نفع. حتى لو كان هناك شَقْ صغير في الأثاث أو تمزق في الملابس، فإن قيمتها تنقص بشكل كبير إذا عرضت للبيع.

لكن الأمر ليس كذلك في النطاق الروحي. فالله يرفع قيمة الأشياء المنكسرة - خصوصاً الأشخاص المنكسرين. لذلك نقرأ آيات مثل: «قَرِيبٌ هُوَ الرَّبُّ مِنَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوب وَيُخَلِّصُ الْمُنْسَحِقِي الرُّوح.» (مزمور٣٤:١٨). « ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ.» (مزمور٥١:١٧). الله يعرف كيف يقاوم المستكبرين، لكنه لا يقاوم المتواضعين والمنسحقين. «يقاوم الله المستكبرين واما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (يع٤:٦). إن هناك شيئاً في إنكسارنا يجذب رأفته وقوته. وجزء من هدف الله الرائع لحياتنا هو الإنكسار - إنكسار القلب، إنكسار الروح، وحتى إنكسارنا في الجسد. (٢كو٤:٦-١٨).

التجديد: نوع من الإنكسار

ان عملية إنكسارنا هي من الأولويات في تجديدنا عندما يبدأ الروح القدس عمله بتبكيتنا من نحو الخطية. فعليه أن يوصلنا إلى المرحلة التي نعترف بها (بإرادتنا) أننا هالكون، ومستحقون جهنم. نحن نقاوم في كل خطوة في الطريق، لكنه يستمر في المصارعة معنا حتى تتحطم كبرياؤنا، ويصمت لساننا المُتبجّح وتنفذ كل مقاومتنا. ونرتمي عند اقدام الصليب أخيراً صارخين: «يا رب يسوع... خلّصني!!». فقد أصبح لنا سيّد، قد رُوّض الفرس!

نعم رُوّض المُهر. ففي الطبيعة المُهر هو مخلوق برّي، فكرة وضع اللجام عليه غير واردة. يرفس ويقفز ويتمرّد بلا قيود. ممكن أن يكون جميلاً ويعدو لمسافات كبيرة. ولكن إذا لم يُلجم، يبقى أشبّ، شريراً بلا وجهة أو هدف. إذا لم يُروض، لم ينكسر، يكون غير نافع للخدمة. لكن بعد ذلك تأتي عملية الخضوع المؤلمة لإرادة الفرس بإلباسه اللجام. فعندما تخضع إرادة الفرس للإرادة الأسمى، يجد المعنى الحقيقي لوجوده.

بهذا التشبيه، من الجيّد لنا أن نتذكر أن الرب يسوع كان نجاراً في الناصرة، لذلك من الممكن أنه قد صنع نيراً. قال احدهم مرة معلقاً، أنه لو كان هناك لوحة على باب تلك المنجرة، لكان من المحتمل أنه كُتب عليها: «ان نيري على المقاس». لكن الحكمة منها لنا هي أن ربنا القدوس لايزال صانع نير. يقول الرب: «احْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ» (مت١١:٢٩-٣٠).

لكن النير هو فقط للمنكسرين وللخاضعين. فيجب على إرادتنا أن تكون خاشعة ومستندة على الرب قبل أن يمكننا أن نتعلم منه. هو وديع ومتواضع القلب. يجب علينا أن نكون مثله، فقط بتلك الإرادة نجد الراحة لقلوبنا.

عناصر الإنكسار

لكن ذلك يقودنا إلى السؤال الأساسي: «ما هو المقصود بالإنكسار الحقيقي؟ كيف يظهر بوضوح في حياة المؤمن؟ ما هي بعض عناصره الأساسية؟»

الندم، الإعتراف والتوبة.

ربما أول ما يخطر لنا هو الإستعداد للإعتراف امام الله بخطيتنا ولمن اخطأنا بحقهم. الشخص المنسحق لا يُبطئ عن أن يندم عندما يخطئ. فهو لا يحاول أن يُخفي خطيته أو أن يتناساها بقوله: «ان الوقت كفيل ليمحو كل شيء.» بل

على العكس، فهو يُسرع إلى محضر الله ويصرخ: «قد أخطأت». ثم يتوجه إلى من أساء له ويقول: «قد أخطأت. أنا آسف. أطلب إليك أن تسامحني.» فمن جهة، هو يشعر كم هو مخجل أن يكون في موقع الإعتذار. ومن جهة اخرى، هو يعرف كم هو رائع أن يمتلك ضميراً صافياً وان يسير في النور.

الإعتراف الحقيقي لا يُجمّل الخطية ولا يلغيها. فهي ليست كالمرأة التي قالت مرة بكبرياء: «إذا اقترفت اي ذنب، أنا مستعدّة أن اقبل السماح». الإعتراف الحقيقي يقول: «قد أخطأت وأنا هنا كي أعتذر».

كانت في حياة داود بعض غيوم الخطية والفشل، لكن الشيء الذي جعله عزيزاً على قلب الله كان ندمه العميق. ففي المزمور٣٢ و٥١ نستطيع أن نتتبّع معه تجاوزه وخطيته وظلمه. فسنشاهده خلال الفترة التي رفض فيها الندم. كانت الحياة عندها جسدية، عقليّة وتعسة روحياً. لم تَسِر الأمور بشكل صحيح. فبدا كل شيء منفصلاً، لكن أخيراً انكسر، اعترف والله غفر. ثم رجعت الأجراس تدق من جديد. واستعاد داود ترنيمته.

في العهد الجديد، يشرح لنا بولس معنى الإنكسار. فعندما وقف أمام المجمع ورئيس الكهنة في اورشليم. عندما قال أنه بكل ضمير صالح قد عاش للّه، عندما حنق رئيس الكهنة وأمر أن يُضرب السجين على فمه.

فرد الرسول بولس: «سَيَضْرِبُكَ اللهُ أَيُّهَا الْحَائِطُ الْمُبَيَّضُ! أَفَأَنْتَ جَالِسٌ تَحْكُمُ عَلَيَّ حَسَبَ النَّامُوسِ وَأَنْتَ تَأْمُرُ بِضَرْبِي مُخَالِفاً لِلنَّامُوسِ؟» (أع٢٣:٣)

فصُعق الجمع من جواب بولس الحاد المُبكّت. ألم يعلم أنه يتكلم مع رئيس الكهنة؟ بالحقيقة إن الرسول بولس لم يكن يعلم. ربما أن رئيس الكهنة حنانيا لم يكن يستحق المنصب الرسميٍ أو أن يشغل الكرسي الذي جلس عليه. أو ربما كان ضُعف نظر بولس مجدداً. مهما كان السبب، لم يقصد بولس أن يتكلم شراً على رئيس الكهنة. لذلك اعتذر عن كلامه، مقتبساً خروج٢٢:٢٨

«لا تَسُبَّ اللهَ وَلا تَلْعَنْ رَئِيسا فِي شَعْبِكَ.» كان لدى بولس مستوى من الإنكسار العميق. فقد أظهر نضوجه الروحي من خلال استعداده أن يقول: « قد أخطأت، أنا أعتذر.»

التعويض.

التعويض مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإنكسار. بغض النظر عن التسمية. فإذا سرقت، افسدت أو أسأت إلى شيء ما، أو اذا عانى شخص آخر خسارة بسبب سلوكي الخاطئ، عندها لا يكفي الإعتذار. فالعدل يطالب بتعويض الخسارة. وهذا ينطبق على الأعمال التي ارتُكبت قبل التغيير (التجديد) مثلما تنطبق على بعده.

فبعدما قبل زكا الرب يسوع، تذكر صفقاته الفاسدة التي استغل بها منصبه كجابي ضرائب (عشّار). لقد كانت نخسة روحية رائعة علّمته فوراً أن تلك الأعمال السيئة يجب أن تُصحح. لذلك قال للرب: «وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ» (لو١٩:٧-٩). فكلمة «إن» هنا لا تعبر عن أي شك أو تردد. فالمقصود هو، «إنّي ارد أربعة أضعاف لكل شخص إحتلت عليه بأي شيء». إن تصميمه على دفع التعويض كان من ثمر تغييره. و «أربعة الأضعاف» كانت مقياساً لقوة حياته الجديدة.

هناك حالات من المستحيل التعويض فيها. فمثلاً اذا اتلفت قيوداً أو سجلات، أو اذا نُسيت قيمتها الفعلية بمرور الوقت. الله يعلم كل هذا. فكل ما يريده هو أن نسد كل ما نحن مدينون به عندما يكون بمقدورنا ذلك.

و هذا يجب أن يتم في اسم الرب يسوع. فلا يوجد مجد لله إذا قلت: «قد سرقت هذا. أنا آسف. والآن اريد أن اعوض لك عن ذلك». فيجب على افعالنا أن ترتبط بالشهادة للمسيح، مثل: «قد أصبحت مؤمناً من خلال ايماني بالرب يسوع المسيح. قد كلمني الرب عن بعض الأشياء التي سرقت منك قبل خمس سنوات. قد اتيت لكي اعتذر ولأعيدها لك». كل عمل تقي أو لُطف يقوم به المؤمن يجب

أن يرتبط بالشهادة للمخلص حتى يعطي المجد له وليس للشخص نفسه.

روح المغفرة.

العنصر الثالث في الإنكسار هو الرغبة في المغفرة عندما يُساء لنا. وهذه تتطلب نعمة بنفس القدر الذي يتطلبه الإعتذار أو التعويض. فبالحقيقة العهد الجديد يقدم لنا تعليمات واضحة وصريحة جداً بالنسبة لمغفرة الآخرين.

قبل كل شيء، عندما يُساء لنا يجب علينا وفوراً أن نغفر من القلب للشخص المذنب الينا (أف٤:٣٢). حتى قبل أن نذهب اليه لنقول أننا غفرنا له، يجب علينا فعلا أن نكون قد غفرنا له من القلب.

عندما يُسيء اليّ شخص ما، يجب علي أن اغفر له. عندها اطلق روحي. أما إذا حملت تلك الإساءة في قلبي، فإني اخطئ إلى الله، وأيضاً إلى ذلك الشخص وأجازف بغفران الله لي. سواء اذا تاب، كفّر، طلب غفراني أم لا، هذا غير مهم. قد غفرت له في تلك اللحظة. يجب عليه أن يقابل الله بالإساءة التي ارتكب، فذلك بينه وبين الله، ليس بينه وبيني، آخذاً بالحسبان أنه يجب علي أن اساعده (مت١٨:١٥). لكن سواء نجح ذلك ام لا وقبل أن ابدأ به، يجب علي أن اغفر له.

هناك الكثير من الأخطاء التي يمكن أن تُغتفر وتُنسى في نفس اللحظة. أنه لإنتصار كبير اذا استطعنا أن نفعل ذلك. « والمحبة... تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.» (١كورنثوس١٣:٧). سُئلت مرة كلارا بارتون، وهي مؤسِّسة الصليب الأحمر الأمريكي، «هل تذكرين ما هو الشيء الحقير الذي قالته تلك المرأة لك؟» وكان ردُّها: «ليس فقط لا أذكر؛ بل أذكر بشكل واضح أني نسيت.»

اذا كانت الإساءة نابعة من الطبيعة القديمة، وشعرت أنه ليس من الحكمة أن تدعها تمر، فالخطوة التالية هي أن تذهب لذاك الشخص وتعاتبه

(مت١٨:١٥). فاذا تاب، عليك أن تغفر له. «وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ وَرَجَعَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ قَائِلاً: أَنَا تَائِبٌ فَاغْفِرْ لَهُ» (لو١٧:٤). إن من الحق أن يكون لدينا الإستعداد لنغفر بلا حدود. فبالحقيقة، قد غُفر ولا يزال يُغفر لنا بعدد مرات لا تُحصى.

لاحظ أنه لا يجب عليك أن تذهب وتقول للجميع عن إساءة ذاك الشخص لك (وهذا غالباً ما نفعله بلا استثناء). «إِذْهَبْ وَعاتِبَهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُما» الطريقة البديهية هي أن تُحجّم تلك الإساءات قدر المستطاع.

فعندما يعترف أو يتوب الأخ المُسيء لك، عليك أن تقول أنك غفرت له. فأنت قد غفرت له في قلبك، لكن الآن تستطيع أن تُظهر غفرانك له.

لكن لنفرض أنه رفض التوبة. عندها بالمقارنة مع متى ١٨:١٦ «وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ فَخُذْ مَعَكَ أَيْضاً وَاحِداً أَوِ اثْنَيْنِ لِكَيْ تَقُومَ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ.».

اذا رفض أن يسمع للشاهدين أو ثلاثة الشهود، عندها يجب رفع الأمر للكنيسة. فالهدف من هذا كله ليس الإنتقام أو العقاب، بل من أجل إرجاع ذاك الأخ.

اذا فشلت هذه المحاولة الأخيرة، فليكن عندك كالوثني والعشّار. بكلمات اخرى، لا تعامله بعد كباقي الإخوة في الكنيسة المحليّة. بما أنه لم يعد يتصرّف بعد كمؤمن، اعتبره غير مؤمن. لكن في اللحظة التي يأتي بها لك تائباً، إغفر له. عندها تكون الأخوّة قد أُعيدت.

الله يكره عدم المغفرة، التصميم على الحقد، وعدم الإستعداد لجعل الماضي ماضياً. وهذا ظهر بوضوح بمثل العبد الذي لا يغفر (مت١٨:٢٣-٣٥). عندما كان مديناً، سامحه الملك بمليون دولار. لكنه لم يرد أن يسامح أخاه العبد المدين له ببعض الدولارات. فالدرس واضح. بما أن الله سامحنا وغفر لنا عندما كنا مدينين له حتى الرأس، يجب علينا أن نغفر نحن ايضاً للذين هم مدينون لنا بأشياء زهيدة.

تحمّل الإساءة دون إنتقام.

فهناك مظاهر اخرى للإنكسار. منها تواضع الروح التي تعاني من أجل الحق والتي لا تنتقم. وهنا، بالطبع، المثل الأفضل هو ربنا، « الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضاً وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ.» (١بط٢:٢٣). فنحن جميعاً مدعوون إلى هذا النوع من الحياة.

لان هذا فضل، إن كان احد من أجل ضمير نحو الله، يحتمل احزانا متألما بالظلم. لانه اي مجد هو إن كنتم تُلطمون مخطئين فتصبرون؟ بل إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون، فهذا فضل عند الله (١بط٢:١٩-٢٠).

ففي كتاب «من نعمة إلى مجد» «From Grace to Glory»، يُذكّرنا موردخ كامبل أنه كان لدى جون وسلي امرأة جعلت حياته مستحيلة. حيث كانت مستعدة أن تسحبه من شعر رأسه في ارجاء الغرفة. ورغم ذلك، لم يقل لها أي كلمة قاسية. ويضيف كامبل:

كان خادم تقي متزوجاً بإمرأة مشابهة. ذات مرة، وهو جالس يقرأ في كتابه المقدس. فُتح الباب ودخلت زوجته. فأخذت كتابه المقدس منه ورمته في النار. عندها نظر اليها بهدوء وقال: «لم أجلس من قبل امام نار استدفىء.» وكان هذا الجواب، الذي صرف سخطها، بداية حياة جديدة وكريمة لها. عندها تحولت من «ايزابل» إلى «ليديا». الشوكة اصبحت زهرة الوادي.

قال احد القديسين:

«انها لعلامة على عمق وصدق التواضع عندما نرى أنفسنا تتحمّل الإدانة بلا سبب. فإن تحمّلنا للإهانة والإساءة لتمثُّل رائع في ربنا يسوع. «آه يا ربي، عندما اتذكر كم من المرات التي قاسيتَ فيها من اجلي، وانت لا تستحق ذلك، أنا لا اعلم اين يكون عقلي عندما اكون في عجلة لأن ادافع عن نفسي واقدم

الأعذار، هل يمكن أن ارغب في أن يتكلم الناس عني حسنٌ، في الوقت الذي قالوا فيك سوءاً؟»

إغلب الشر بالخير.

ميّزة اضافية في حياة الإنكسار ليس فقط تحمّل الإساءة بصبر، بل مقابلة الأساءة بالإحسان. « لاَ تُجَازُوا أَحَداً عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هَذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ، لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ.» (رومية ١٢:١٧، ٢٠-٢١).

هنا اتذكر دائما الفيل الذي كان مالكه يقوده في احدى شوارع الهند. فقد كان يحمل عصاً حادة من المعدن لينخس بها الفيل من أجل التحكم به. ثم انزلقت تلك العصى من يد المالك وسقطت على الأرض محدثة صوتاً حاداً، عندها التفت الفيل للخلف، وأمسكها بخرطومه، وناولها لسيده. اذا استطاعت الفيلة أن تكون من المؤمنين، فبالتأكيد كان ذاك الفيل واحدا منها.

تقديم الآخرين في الكرامة على الذات.

هذا هو نوع من الإنكسار الذي يحسب الآخرين افضل من الذات (في٢:٣). ونرى ذلك مشروحاً في حادثة من حياة ابراهيم (تك١٣:١-١٣). حيث صعد مع لوط من مصر مع عائلاتهم وممتلكاتهم إلى بيت إيل. فحدثت مخاصمة بين رعاة مواشي ابرام ورعاة مواشي لوط، اذ لم تحتملهما الأرض أن يسكنوا معا. عندها تدخل ابرام وقال: «انظر يا لوط، لن نصبح أعداء بسبب قطعة من الأرض. خذ الأرض التي تحلو لك، وانا سآخذ ارضاً اخرى.» فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن – التي كانت قريبة من سدوم. فذهب صاحب القلب الكبير ابرام إلى ارض كنعان. وهكذا عاش احد قديسي العهد القديم مقدّما لنا تطبيقا

عملياً لما قصده بولس عندما قال: «وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْكَرَامَةِ» (رو١٢:١٠).

الطاعة.

ليس هذا فحسب. فالله يريدنا أن نكون منكسرين في قبولنا وطاعتنا لمشيئته. فكاتب المزمور يقول بشكل موجز: «لاَ تَكُونُوا كَفَرَسٍ أَوْ بَغْلٍ بِلاَ فَهْمٍ. بِلِجَامٍ وَزِمَامٍ زِينَتِهِ يُكَمُّ لِئَلاَّ يَدْنُوَ إِلَيْكَ.» (مز٣٢:٩).

يميل الحصان الطَّلِق إلى العدو لمسافات كبيرة، بينما يرمز البغل إلى العناد. اذا يوجد لدينا خطران فيما يتعلق بطاعتنا لمشيئة الله. فمن الممكن أن نتحرك دون ارشاد، او أن ننطلق دون دعوة. ومن الممكن ايضاً أن نقاوم ارشاد الله الواضح لنا.

فمثلا، يونان. لم يكن هناك اي شك فيما يتعلق بدعوة الله له. فقد كانت دعوته أن يذهب إلى نينوى لينادي بالتوبة. لكنه لم يكن منكسراً بعد. لذلك ركب في سفينة متجهة في الإتجاه المعاكس. فقط بعد تجربته المرعبة في جوف الحوت انحنت ارادته للطاعة. عندها ذهب مسرعاً لكي يبرهن أن ارادة الله هي، بالرغم من كل شيء، صالحة ومرضية وكاملة (رو١٢:٢).

نحن نجد إنكساراً مدهشاً في الجحش الذي ركب عليه يسوع عندما دخل اورشليم (لو١٩:٢٩-٣٥). فحتى تلك اللحظة لم يكن قد ركب احد على ذلك الجحش، وكان من المتوقع أن يقاوم بشدة اي محاولة لركوبه. لكن عندما اقترب المخلِّص منه، اختبر معجزة من الإنكسار اللحظي. فأصبحت إرادة الجحش متجاوبة بشكل كامل مع إرادة خالقها.

ممكن أن يكون ربط بسيط أن اذكر الطين في حديثنا عن الإنكسار، لكن الطين بيد الفخاري هو وصف رائع للشخص المنكسر بين يدي الرب – ليّن

ومتجاوب لضغط اصابع الله.

والصلاة اليومية للشخص المتجاوب منعكسة في كلمات الترنيمة التالية:

لتكن طريقتك، يا رب... لتكن طريقتك
انت هو الفخاري وانا الخزف
شكّلني واصنعني بحسب مشيئتك
وانا سأنتظرك، متمسكاً وثابتاً

لتكن طريقتك، يا رب... لتكن طريقتك
افحصني وجربني يا سيّد اليوم
أبيض من الثلج يا رب اغسلني الآن
في محضرك أنا أنحني بخشوع

لتكن طريقتك، يا رب... لتكن طريقتك
فأنا مجروح ومتعب، ساعدني، أنا اصلي
القوة – كل القوة – بالتأكيد هي لك
إلمسني واشفِني، مخلصي الإله

لتكن طريقتك، يا رب... لتكن طريقتك
فستبقى أنت سيّدي المُطلق
املأني بروحك حتى يرى الجميع
المسيح وحده، دائماً، حي فيّ

آراء الناس في الموت.

هناك الكثير من المظاهر الأخرى للإنكسار. فمثلاً، يجب علينا أن نصل إلى تلك المرحلة التي نكون عندها أمواتاً عن إستحسان العالم أو عدمه. بعد قبول و. ب. نكلسون للرب يسوع كمخلص، كان تحت وصاية احد الخدّام، الذي قال له مرة: «اذا كنت ملتزماً نحو خدمة الله، احمل هذه اللوحة لبضع ساعات في وسط المدينة. التي كتب عليها هذه الكلمات، «ميت عن آراء الناس». وكان لهذه التجربة أثر كبير لجرأة نكلسون في خدمة المسيح.

الإعتراف بخطايا الآخرين كأنها خطايانا.

يجب علينا أن نكون منكسرين لدرجة أن نعترف بخطايا شعب الله كأنها خطايانا. وهذا ما فعله دانيال (دا ٩:٣-١٩). فلم يكن هو المذنب عن معظم الخطايا التي اعترف بها. لكنه وضع نفسه مع كل الشعب بشكل كبير، حتى أن خطاياهم اصبحت خطاياه. فهو يذكرنا، بالطبع، بالذي «حَمَلَ خَطايانا وَأَحْزانَنا كَأَنَّها لَهُ». والدرس لنا هو أن نعترف بخطايا الآخرين كأنها خطايانا بدلاً من إنتقاد المؤمنين وتوجيه أصابع الإتهام لهم.

المحافظة على هدوئنا في الأزمات.

آخر مظهر للإنكسار يرتبط بالإتزان والهدوء في أزمات الحياة. فعندما يحدث تأخير لا يمكن تفاديه، رد الفعل الطبيعي هو الإرتباك والغضب. التغيرات المفاجئة للروتين غالباً ما تُحدث تضايقاً وانزعاجاً. تعطل السيارة والحوادث – كم من السهل أن تضايقنا وحتى تسبب حدّة في المزاج. للتغير في جدول المواعيد ولخيبات الأمل طريقة في إظهار الأسوأ فينا. فالهيجان، الغضب والسخط أشياء تفسد شهادة المؤمن.

من طرق الإنكسار المحافظة على الهدوء خلال هذه الأزمات، ومعرفة أن

الله يتحكم بكل ظروف الحياة لأجل اهدافه. فيمكن أن يكون إطار السيارة المثقوب بركة غير ظاهرة، وهي حماية من حادث في اسفل الطريق. ويمكن للزائر المفاجئ الذي قطع خدمتك للرب أن يمثل خدمة أكثر اهمية مما كنت تفعله. الحادث، مع كل آلامه، عدم الراحة والخسارة التي يسببها، يمكن أن يقربك من اشخاص مستعدين بتهيئة من الروح القدس لإستقبال بشارة الإنجيل. ففي كل هذه الظروف، يرغب الرب أن يرانا نتصرف بسرعة بهدوء بدلا من التسرع، بإنكسار بدلا من التمرد.

فهذه اذاً هي بعض الأمثلة من مفهوم الإنكسار. فالقائمة هي مقترحة وبالتأكيد ليست الشاملة. فبينما نسير في تبعية الرب، سيُرينا نواحي من حياتنا الفردية التي نحتاج أن نكون منكسرين فيها عند الصليب. ومع كل اعلان مثل هذا سيعطينا النعمة التي نحتاجها.

«لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ.» (في ٢:١٣).

ما الذي لا يعنيه الإنكسار.

من الجدير بنا، بعد أن رأينا بعضاً من عناصر الإنكسار، أن نشرح باختصار غير المقصود بالمُصطلح. فهذا لا يعني أن يصبح الشخص ناعماً وذليلاً، بائساً ومسكيناً. أو أن يكون بلا قوة، غير مؤثر في من هم حوله. فالمقصود هو العكس تماماً. الإنكسار هو أحد اهم عناصر الشخصية القوية. فلا يحتاج المرء أن يتعلّم أن يكون غير مُنكسر. لكن ضبط النفس مطلوب لنكون مشابهين للمسيح في الوقت الذي تثور فيه ضدنا كل غرائزنا الطبيعية!

فالأشخاص المنكسرين هم الذين يمتلكون أكثر الشخصيات إقناعاً. فهم يؤثرون بهدوء بسبب القوة الكبيرة التي فيهم. فصحيحٌ هو المكتوب: «ولُطْفُكَ يُعَظِّمُني» (مز١٨:٣٥). وهم قادرون أن يغضبوا عندما يستلزم ذلك. نحن نرى هذا في حياة ربنا يسوع. عندما قلب موائد الصيارفة وطرد الذين كانوا يبيعون

ويشترون في الهيكل. من المهم أن نلاحظ أن غضبه لم يكن بسبب اي إهانة له شخصياً، بل بسبب اهانة بيت الله. مثلما قيل: «كان أسداً فيما تعلق بأمور الله لكنه كان حملاً فيما تعلق بأموره». الكثير من الشهداء المسيحيين والإصلاحيين كانوا منكسرين، لكن من المستحيل القول أنهم كانوا ضعفاء وغير مؤثرين.

صراع الأجيال

احد اصعب النواحي في تطبيق الإنكسار يظهر في العلاقة بين الأهل والأبناء. بسبب الطبيعة البشرية الساقطة، نظهر وكأننا غير مُحبّين لأقرب وأعز الأشخاص لنا. الكثير من الشابات المسيحيات يعانين من معارك داخلية كثيرة بسبب العداء الذي يشعرن به تجاه أمّهاتهن. وايضاً الكثير من المسيحيين قليلاً ما يكونون مهذبين مع آبائهم في معظم الوقت. لا أحد ينكر وجود صراع الأجيال؛ بالحقيقة إنه لفجوة كبيرة. فالشباب يشكون دائماً أن ذويهم لا يفهمونهم وأنهم على غير صلة بالعالم المعاصر. لكن بالرغم من كل ذلك، يشعر الكثير منهم بالذنب والخجل لدرجة أنهم لا يستطيعون التغلب على مواقفهم هذه والتصرّف كمؤمنين تجاه ذويهم، كنوع من التغيير. هم يعرفون أنها هزيمة كبيرة في أن يكونوا لطفاء وأن يتصرفوا باحترام مع رفقائهم وحتى مع الأشخاص البالغين في مقابل التصرّف بمنتهى البرودة والحِدّة في المنزل. هم يكرهون أنفسهم لأنهم غالباً ما يتمنون الموت لذويهم، لكن الإنكسار والإعتراف مثل قرص دواء صعب البلع.

لم تكن صدفة أنه عندما اعطى الله الوصايا العشر لشعب إسرائيل، خصّ واحدة منها لهذه الناحية الصعبة والحرجة من العلاقات البشرية: «اكرم اباك وامك لكي تطول ايامك على الارض التي يعطيك الرب الهك» (خروج ٢٠:١٢).

واعاد بولس الوصية في العهد الجديد: «أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالدِيكُمْ فِي الرَّبِّ لأَنَّ هَذَا حَقٌّ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، الَّتِي هِيَ أَوَّلُ وَصِيَّةٍ بِوَعْدٍ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ خَيْرٌ،

وَتَكُونُوا طِوَالَ الأَعْمَارِ عَلَى الأَرْضِ.» (اف٦:١-٣).

ان أُكرم وأُطيع والديَّ، لا يعني أن افعل ما يطلباه مني فقط، بل أن احترمهم، واكون لطيفاً معهم وان اعتني بهم عندما يكون ذلك ضرورياً. ويعطينا بولس أربعة أسباب: لان هذا حق. لانه في مصلحة الاولاد. لانه مكتوب. لان فيه وعد طول الحياة على الأرض.

لكن الكثير من الأولاد والبنات أقنعوا أنفسهم أن ذلك ممكن للأخرين، وببساطة غير ممكن لهم. فوالديهم اصعب من أن يحتملوهما.

ان كل ما يلزم هو الإنكسار. فهذا يعني أن الذهاب إلى الأهل والقول: «انا اسف لأني كنت عنيداً في علاقتي معكم. لم اشكركم من قبل على كل ما تقومون به من اجلي، لكني اريد أن افعل ذلك الآن، اطلب اليكم أن تسامحوني على طريقتي في بناء اسوار فاصلة بيننا. بمعونة الرب، ستكون الأمور مختلفة في المستقبل».

يمكن أن نختصر الوقت الكثير لشرح كيفية جسر الفجوة بين الأجيال بقصة الإبن الضال. في البداية لم يستطع هذا المتسرع أن ينتظر موت ابيه؛ بل اراد أن ياخذ الميراث في تلك اللحظة. وبالفعل، اخذه وذهب للعيش به.

ثم تبع رفقاء السهر، والشرب، والزنى. لكن سرعان ما نفد ماله وذهب الأصدقاء. فابتدأ المبذر يحتاج لقوته اليومي.

عندها اخذ يفكر في الخدم عند ابيه، الذين كانت معيشتهم افضل منه في تلك اللحظة. كم كان غبياً! قد ترك بيته غنياً والآن يرجع فارغاً. ذهب وهو يطالب بالعدالة لكنه يرجع طالباً الرحمة. ذهب ورأسه مرفوع لكنه يرجع زاحفاً مكسوراً.

«أبي»، يقول، «قد اخطأت. اخطأت إلى الله وإليك. أنا لا استحق أن ادعى ابنك». قد فكر أن يقول اكثر، أن يرجو عملاً كخادم. لكن عندها كان الأب

يصدر الأوامر لعبيده. وبعد وقت ليس بكثير، كان الإبن مرتدياً ثياباً جديدة، وخاتماً في اصبعه، وحذاءً جديداً، وكان جالساً أمام عجل مشوي مع كل الزينة. قد تم جسر الفجوة بالإنكسار. لكن لم يكن بمقدور الإبن أن يعرف قبلة ابيه لولا إنكساره اولاً في التوبة والإعتراف.

لا يوجد شيء يساعد في تقويم موقف الشخص العدائي مثل الإذلال نتيجة إعتذار كهذا. ففي المرة القادمة عندما يُجرَّب بأن يُظهر أي عمل غير محب لذويه، سيتذكر بسرعة خجل الإنكسار، وهذا سيكون له الردع الأقوى.

الفجوة الزوجية

ربما تكون ثاني اصعب ناحية في تطبيق الإنكسار الحقيقي تكمن في علاقة «الزوج والزوجة». فمرة اخرى هي مسألة عدم اظهار الحب لأقرب الأشخاص لنا، بينما نُظهر الإحترام والأدب للذين بالكاد نعرفهم. غالبا جدا ما يجب علينا أن نعترف أننا اشرار في البيت وقديسون خارجه.

فالكتاب المقدس واقعي في أن يحتسب مُقدَّما احتمال وجود توتر في العلاقة الزوجية. فتخطر على بالنا بالأخص الآية في كولوسي ١٩:٣ «أَيُّهَا الرِّجَالُ، احِبُّوا نِسَاءَكُمْ، وَلاَ تَكُونُوا قُسَاةً عَلَيْهِنَّ».

القساوة أو البُغضاء التي تتطور في الزوج تجاه زوجته غالبا ما تكون عميقة لدرجة الإحباط من امكانية التغلب عليها. وغالبا جدا ما يستسلم ببساطة ويبحث عن التحرر من خلال الإنفصال او الطلاق. فلنأخذ حالة «جانو» و «جنكس». عندما تقابلا اول مرة، عرفا أنهما خلقا لبعضهما. وخلال الأشهر اللاحقة، كانا يخرجان سوياً في كل فرصة. وبعد مرور ستة اشهر كانا مخطوبين وتم ترتيب الزفاف ستة اشهر. لكن تم الزفاف بعد اربعة اشهر من الخطوبة.

خلال السنة الأولى كانت الأمور على ما يرام. وفي احد الأيام حدثت مشاجرة

بينهما، وأطلقت «جنكس» كل غضبها المكتوم ل «جانو» بسبب ما حدث قبل زواجهما. فأجابها بالمِثل. فتزعزع اساس العلاقة بينهما. بعد ذلك بدا زواجهما ميؤوساً منه. ووجد «جانو» أن البُغضاء التي شعر بها تجاه زوجته اكبر من الحب الذي احبها به (٢صم ١٣:١٥).

اقترح الأصدقاء المؤمنون أن يذهبا لرؤية مستشار زواج مؤمن، وهكذا فعلا. لكن في داخلهما كانا عنيدين وفاقدين للأمل.

اخيرا تقدم «جانو» بطلب للطلاق، لكن قبل أن تُرفع القضية في المحكمة، تحداه صديق مؤمن أن يجرب طريقة الإنكسار. وايضاً زوجة هذا الصديق قالت ل «جنكس» في نفس الوقت أن تفعل نفس الشيء. لماذا لا ننكسر أمام الرب قبل أن ننكسر امام بعضنا البعض؟ لماذا لا نضع الماضي تحت دم المسيح ونبدأ بداية جديدة؟

قد فعلا ذلك. وقد كان اصعب شيء قام به كل منهما. لكنهما اجتمعا وتعاتبا عتاباً كاملاً. وعبّر كلٌ منهما عن كل ما بداخله. فقد قبل كلٌ منهما تحمل مسؤولية دوره في تلك الخطيّة التي حدثت قبل الزواج. فبعد الإعتراف للرب بالدموع، تعاهدا أن لا يدينا بعضهما على تلك الخطية فيما بعد. وطالبا بوعد الله أنه قد غُفر لهما (١يو٩:١). وبكل فرح غفر كل منهما للآخر كل شيء. وقرر كل منهما أن يسامح نفسه. وعندما فرغا من الصلاة، رُفع عنهما حمل كبير. وادركا أنه ستكون هناك فترة من التعديل، لكن قد انقشعت غيوم البُغضاء عن حياتهما. وادركا ايضاً اهمية الإنكسار المستمر كلما ظهرت مشاكل مستقبلية في منزلهما.

وبعد أشهر، ترك «جانو» قراءة جريدة المساء وعلّق كم من العناء يبذله الناس في أنهم مستعدون أن يصرفوا الوقت والمال على مستشاري الزواج والأطباء النفسيين، وان يجربوا كل «علاج» مكلف، لكن غير مستعدين أن يجربوا الإنكسار. فدون الإنكسار، تكون كل الطرق الأخرى غير مُجدية بالمرة.

فالرب يريدنا أن نكون منكسرين في جميع أمور حياتنا، ليس فقط على الصعيد العائلي. سيصارع معنا كما تصارع مع يعقوب في فنيئيل. سيحاول أن يكسر فينا الكبرياء، الأنانية، روح عدم المغفرة، العناد، النميمة، الخيانة، محبة العالم، عدم النقاء، حدّة الأعصاب وكل عمل للطبيعة القديمة. يريد أن يغير اسمنا من يعقوب إلى إسرائيل، من المخادع إلى الأمير، من شخص ماكر ضعيف إلى شخص قوي مع الله والناس. سيصارع معنا حتى آخر النهار ويخلع حُقّ فخذنا. عندها سنمضي بقية حياتنا بخدمة شخص منكسر يستطيع الله أن يستخدمه.

الله يريدنا أن نكون بلا لوم. فلا يوجد بيننا من هو بلا خطية لكن نستطيع أن نكون بلا لوم. فالشخص غير الملوم هو الذي، عندما يرتكب خطأ ما، يُسرع إلى تصحيحه. فهو لا يدع الشمس تغرُب على غيظه. بالإعتراف والإعتذار، يُبقي قنوات الإتصال مفتوحة بينه وبين الله وأيضاً مع اخوته المؤمنين. فالاسقف في الكنيسة المحلية يجب أن يكون بلا لوم (١ تي ٣:٢)، لكن يجب أن يكون كذلك كل مؤمن مسيحي.

فكر في النتائج

فكر في ماذا سيعني ذلك في حياتنا الشخصية، في بيوتنا، وفي كنائسنا المحلية وفي العالم العملي اذا كنا منكسرين كما يجب.

في حياتنا الشخصية سيعني ذلك قوة أكبر، سعادة أكثر، وصحة أفضل. فالأشخاص الذين لهم أكثر تأثير روحي على الآخرين هم الذين تحت نير مع المسيح في الوداعة والتواضع. هم الذين يجدون الإكتفاء والراحة في خدمة السيّد. والذي يفيدنا روحياً يفيدنا صحياً أيضاً. كُتب مرة في «المجلة الطبية البريطانية» تقرير جاء فيه: «لا يوجد اي عضو في جسم الإنسان منفصل تماماً عن الروح.» تحدث الدكتور بولس تورنر عن مريضة كانت مصابة بسرطان الدم لأشهر. وبشكل غامض اختفى المرض و رجع دمها طبيعياً مرة اخرى. أظهرت

التحريات أن تلك المريضة كانت تعاني من أزمة روحية، تحديداً، قد غفرت حقداً عانت منه لفترة طويلة. نعم، الإنكسار جيد للصحة.

فكر في بيت افراده متسامحون مع بعضهم البعض. بالتأكيد هناك بعض الخلافات التي ستظهر من فترة لأخرى، لكنهم لا يسمحون لها أن تكبت داخلهم غضباً أو حقداً. قد تعلمت العائلة فن الحب والمُصالحة المقدسة. هذا هو النوع من البيوت الذي يحب يسوع أن يكون فيه.

في الإجتماع المحلي، الإنكسار هو طريق الإنتعاش. هو قانون ثابت في النطاق الروحي أن دموع الإنكسار هي باب لأمطار من البركات. فبشكل عام، نحن نجرّب كل شيء في البداية عدا الإنكسار - مكاناً جديداً، طرقاً جديدة لكن ينتظر الله التوبة والتواضع. عندما نتوب تنهمر البركات.

«فَإِذَا تَوَاضَعَ شَعْبِي الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ وَصَلُّوا وَطَلَبُوا وَجْهِي وَرَجَعُوا عَنْ طُرُقِهِمِ الرَّدِيئَةِ فَإِنِّي أَسْمَعُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَغْفِرُ خَطِيَّتَهُمْ وَأُبْرِئُ أَرْضَهُمْ. (٢ أخ ٧:١٤).

فكر في التأثير الذي سيكون للمؤمنين في العالم العملي عن طريق تطبيق الإنكسار. فرجال العالم ليسوا منكسرين ويحبون أن يبذلوا قوتهم ونفوذهم ضد الأشخاص الذين مثلهم. لكنهم يدهشون عندما يتقابلون مع شخص لا تكون ردة فعله الغضب، شخص يعترف بخطأه ويعتذر، شخص يعيش لمجد الرب يسوع. فهذا هو نوع الحياة غير الطبيعي الذي يُعلن وبقوة عن الرب يسوع في عالم التجارة الصعب والمشوش اليوم.

دليل الدراسة لكتاب
التلمذة الحقيقية

تم تنظيم هذا الدليل من أجل دراسة كتاب
التلمذة الحقيقية لوليم مكدونلد

اعداد

انتوني بين

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧
بأذن من المؤلف والناشر بالانجيلزية
لمؤلف دليل الكتاب: انتوني بين
وللناشر: معهد عمواس للكتاب المقدس

مقدمة

هذا الدليل الدراسي يحتوي على اثنا عشر درس بحيث أنه صمم لاستعماله مع اقسام الكتاب الثلاثة: التلمذة الحقيقية، اين كنزك، يا رب اكسرني. هدفه ليساعد المؤمن المسيحي ليكتشف بعض من مباديء التلمذة بنفسه، كما وردت في العهد الجديد. فكتاب مكدونلد هذا يُعتبر تفسيرا يستطيع الطالب استعماله لمساعدته في دراسته الشخصية للكتاب المقدس.

يمكن استعمال هذه الدراسة بنجاعة في واحدة من ثلاث طرق:

١- دراسة شخصية: يجب على الطالب أن ينهي دراسته لكل درس بحسب التوجيه المُعطى. سنجد من خلال الدرس متى واين نقرأ في كتاب مكدونلد، وكل واحد من الدروس يحتاج إلى ساعة تقريبا لإنهائه.

٢- التلمذة بين شخصين: هؤلاء الذين يعملون على مساعدة الاخرين لكي ينموا في الايمان بأمكانهم تعيين هذه الدراسة لمن يتتلمذون على يدهم، ومن ثم بحث المباديء التي يتعلمونها.

٣- دراسة الكتاب المقدس الجماعية: هذه الدراسة مناسبة ١٢- ١٣ اسبوع، كل طالب يقوم بدراسته في الكتاب قبل حضور الصف. على أن ياتي مهيأ للنقاش بما اكتشفه ساعة واحدة في الصف كافية جداً للنقاش . اذا حُدد النقاش لثلاثون دقيقة فيمكن استغلال باقي الساعة بطرق مختلفة.

مثلا: يحاول قائد المجموعة تبسيط بعض من اجزاء الدرس أو أن يصرف اعضاء المجموعة الوقت في الصلاة من أجل احتياجات الطلاب أنفسهم، الكنيسة، غير المخلصين... الخ. يمكن ايضا قراءة كتاب مساعد آخر لدعم ما يتعلمه الطلاب واعطاء تقرير عنه، ثم يمكن بحث هذه التقارير.

فهرس

	المقدمة	الصفحة
الدرس الأول	شروط التلمذة	١٣٥
الدرس الثاني	ترك كل شيء	١٣٧
الدرس الثالث	عقبات في سبيل التلمذة	١٣٩
الدرس الرابع	التلاميذ هم وكلاء	١٤١
الدرس الخامس	الغيرة والايمان	١٤٣
الدرس السادس	الصلاة	١٤٥
الدرس السابع	الحرب	١٤٧
الدرس الثامن	سيادة العالم	١٤٩
الدرس التاسع	التلمذة والزواج	١٥١
الدرس العاشر	حساب النفقة ومكافأة التلمذة	١٥٣
الدرس الحادي عشر	اين كنزك	١٥٥
الدرس الثاني عشر	يا رب اكسرني	١٥٦

شروط التلمذة

١. ماذا قصد يسوع باعلانه الموجود في لوقا١٤:٢٦؟ ما هو الشيئ الذي يُعتبر مستحيل لتلاميذه، لو كانو بدون التزام بهذا الاعلان؟

٢. متى١٦:٢٤ يعطينا ثلاثة متطلبات لمن يرغب أن يكون تلميذاً للرب يسوع، عرِّف هذه المتطلبات وأعطِ توضيحا لكل منها، ثم أعطِ مثالاً كيف يمكن التعدي على كل مطلب منها

٣. ما هي الصفات التي يعطيها الرب يسوع للتلميذ في ي يوحنا١٣:٣٥؟ كيف بحسب رأيك يمكن أن تُظْهِر هذه الصفات للآخرين أننا تلاميذه؟

٤. صف مدى اهمية النصوص المقدسة لحياة التلميذ الحقيقي (يوحنا٨:٣١)، ماذاَ يمكن أن يكون موقفه نحو كلمة الله؟

٥. ما الذي يجب أن يعمله تلميذ الرب يسوع بحسب لوقا١٤:٣٣؟ إذا فعلت هذا فما الذي سيميّز التغيير الذي حصل فيك؟

اقرأ نص «شروط التلمذة» (صفحة ٧) قبل اجابتك على الاسئلة ٦، ٧:

٦. لكل واحد من التصريحات التالية اجب "موافق" او "غير موافق" ثم أعطِ السبب لأجابتك.

- المسيحية الحقيقية هي التزام كامل للرب يسوع المسيح"______

- «ليس اقل من استسلام غير مشروط يمكن أن يناسب، كتجاوب لتضحية المسيح في الجلجثة» ______

- «.عندنا كل الحق للتمتع بكل ما تقدمه هذه الحياة» ______

٧. اكتب هنا سبعة شروط التلمذة الواردة في الاسئلة ١-٥. أي منها الاصعب عليك قبولها؟ على ضوء مطالب المسيح لك، كيف ستعمل من اليوم فصاعدا لتكون تلميذ حقيقي؟

ترك كل شيء

١. ما هي شروط التلمذة التي يضعها الرب يسوع في لوقا١٤:٣٣؟ ما الذي يقصده في تصريحه هذا؟

٢. ادرس متى٦:١٩-٢١ ولوقا١٢:٣٣-٣٤. ماذا يأمر الرب يسوع تلاميذه؟ قارن المكانين الذين نكنز بهما كنوزاً. ما علاقة المكان الذي نجّمِّع فيه كنوزنا وبين إخلاصنا للمسيح؟

٣. كيف أطاع المسيحيون في الكنيسة الاولى أوامر الرب يسوع (اعمال٢:٤٤-٤٥)؟

قبل الشروع في الاجابة على الاسئلة ٤ و ٥ اقرأ «ترك كل شيء» (صفحة ١٣)

٤. تفكّر في كل واحدة من الحجج التالية، مقابل اتخاذ كلمة الرب حرفياً. ادحض كل من هذه الحجج بكلماتك الخاصة واعط عدد كتابي مناسب لدعم حججك.

- «إذا تركنا كل شيء فسوف نموت جوعاً».

- «يجب علينا تدبير احتياجات مستقبل عائلتنا».

- «لو ترك كل مسيحي كل شيء فمن الذي سيُموّل عمل الرب؟»

- «لو لم يكن مسيحيون اغنياء، فمن إذا سيصل إلى طبقات الناس الراقية برسالة الانجيل؟»

٥. ادرس الصفات الشخصية الاربعة (المدرجة في الكتاب) عن الرجل الذي يترك كل شيء. لأي مدى تنطبق هذه عليك أنت؟

٦. ماذا يعني لك أن «تترك كل شيء» لكي تتبع المسيح؟ اعط جوابك بشكل شخصي وعملي.

٧. لو اتخذت كلمات الرب يسوع في لوقا١٤:٣٣ حرفيا، فماذا سيكون التاثير العملي في كل من النواحي التالية؟ كن دقيقاً.

- عملك/تعليمك
- حياتك العائلية.
- كنيستك.
- العالم

عقبات في سبيل التلمذة

١. ادرس لوقا٩:٥٧-٦٢ وحدد الثلاثة الذين ارادوا أن يكونوا تلاميذ للمسيح. ما الشيء الذي تطوع الرجل الاول أن يفعله (عدد٥٧) كيف أجاب الرب (عدد٥٨)؟ ولماذا أجاب برأيك على هذا النحو؟

٢. ما الشيء الذي أمر به الرب الرجل الثاني أن يفعله (عدد٥٩)؟ وما الطلب الذي قدمه الرجل الثاني؟ ماذا قصد يسوع بقوله «دع الموتى يدفنون موتاهم» وما هو الشيء صاحب الاولوية حسب قوله؟

٣. ما هو مطلب الرجل الثالث قبل اتباع يسوع (عدد٦١) وماهو الخطأ في طلبه هذا؟ ما الذي يجعل الانسان لا «يصلح لملكوت الله»؟

٤. كيف يتشابه الرجال الثلاثة؟ و كيف يختلفون؟ الرجلان الاخيرين استخدما كلمات «يا سيد... لي... أولاً» ماذا يخبرك ذلك عنهم؟ وكيف تتناقض كلماتهم؟

٥. اقرأ «عقبات في سبيل التلمذة» في (ص ٢١) حدد الالقاب التي منحت للرجال. ولماذا ينطبق لقب كل رجل عليه؟

٦. ما هي العقبات الثلاثة الرئيسية في سبيل التلمذة الحقة التي يمثلها هؤلاء الرجال؟ أعط أمثلة محددة عن كيف يمكن أن تظهر هذه العقبات في حياتك؟

٧. ما الذي يحول بينك وبين ولائك الكامل ليسوع المسيح ؟ وما هي الخطوات التي ستتخذها لازالة هذه العقبات؟

التلاميذ هم وكلاء

ادرس بعناية لوقا١٦:١-١٣ و أجب عن الاسئلة التالية:

١. مع من يتكلم الرب؟ بكلماتك الخاصة، لخص المثل الذي رواه يسوع (عدد١-٨ أ)

٢. ما هو الدافع وراء تصرف وكيل الظلم (عدد٣-٤). برأيك، لماذا اعتقد الرجل الثري أن وكيله الظالم تصرف بحكمة؟

٣. بالرجوع إلى تعليق السيد في عدد ٨ب. من هم «أبناء هذا الدهر» و «أبناء النور»؟ قارن بين وجهات نظرهم فيما يتعلق بالمستقبل؟ ولماذا يقول الرب أن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور؟

٤. اذكر بعض الطرق التي يستعد فيها الناس اليوم لمستقبلهم؟ ومن وجهة نظر الرب، كيف يمكن للتلميذ أن يستعد لمستقبله (عدد٩)؟ ما هو «مال الظلم» وكيف يمكن أن تستخدمه «لتصنع اصدقاء» لك؟ كن محدداً؟

٥. كيف تكون الطريقة التي نستخدم بها ممتلكاتنا محكاً لأخلاقنا؟ (عدد١٠) بطرق عملية، كيف يمكن للمسيحي أن يكون:

- «أمينا» في القليل

- «ظالما» في القليل

٦. ما هو الغنى الحقيقي؟ (عدد١١) وما هو الشرط لكي نؤتمن عليه؟ وما هو المُلك الحقيقي للمسيحي برأيك؟ وما هو المطلوب للحصول عليه؟ ما هو «مبدأ الخدمة» الذي يقدمه الرب (عدد١٣) وكيف يرتبط بالوكالة؟

اقرأ «التلاميذ هم وكلاء» في الكتاب (ص٢٧) وأضف من بصيرتك ما استنتجته من السؤال ١-٦

٧. بالاستناد إلى هذه الدراسة، **لماذا** يعتبر تلميذ يسوع وكيلا وكيف يمكنه أن يمارس وكالته؟ ما هي التغييرات التي تحتاج أن تقوم بها في الطريقة التي تُدير بها هبات الله هنا على الارض؟ وما هي النتائج الروحية والابدية لذلك ؟

الغيرة والايمان

١. ابحث عن معنى كلمة «غيرة» في القاموس واكتب تعريفا مختصرا لها بكلماتك الخاصة؟ برأيك، كيف ينبغي أن تُطبق هذه الكلمة على تلميذ الرب يسوع؟

٢. كيف شهدت حياة الرب يسوع على الارض عن غيرته (لوقا١٢:٥٠؛ يوحنا٢:١٧؛ ٩:٤)؟

٣. اقرأ «الغيرة» في الكتاب (ص ٢٩) واشرح كل من العبارات التالية:

- «يكرس الرجل المتدين الغيور نفسه لأمر واحد».

- «عار الكنيسة في العصر الحالي هو أنها سمحت لأتباع المذهب المادي وأنصار البدع المستحدثة أن يكون لهم غيرة أكثر من المسيحيين».

- «اذا كان الرب يسوع يستحق شيئا فهو يستحق كل شيء».

٤. اقرأ «الايمان» في الكتاب (ص ٣٩) وعدد على الاقل خمسة مبادئ رئيسية لها صلة بحياة الايمان؟

٥. بطرق عملية قارن بين «السلوك بالايمان» و «السلوك بالعيان» (٢كورنثوس٥:٧)؟

٦. كيف يمكن للتلميذ أن يزيد ايمانه؟

٧. أية جوانب في حياتك تجعل غيرتك للمسيح تذبل؟ وما التغييرات الايجابية التي تحتاج الى تنفيذها لتزيد من غيرتك للمسيح؟ إلى أي حد يمكنك القول أنك «تسلك بالايمان لا بالعيان» وما هي التغييرات التي تحتاج البدء بتنفيذها لتسلك أكثر بالايمان؟

الصلاة

اقرأ «الصلاة» في كتاب «التلمذة الحقيقية» تأمل بعناية بمبادئ الصلاة وأجب على الاسئلة التالية بكلماتك الخاصة:

١. لماذا تصدر أفضل الصلوات عن حاجة داخلية قوية ملحة؟ حدد بعضاً من الاسباب المؤدية إلى جعل «حياة الصلاة» لدينا هزيلة سطحية؟

٢. ماذا يعني أن «نتقدم بقلب صادق» (عبرانيين١٠:٢٢)؟ كيف نميل إلى أن نكون مرائيين في صلواتنا؟

٣. كيف يمكن للصلاة أن تكلفنا شيئا؟ ولماذا يقدّر الله هذا النوع من الصلاة؟ كيف يرتبط الصوم بالصلاة؟

٤. كيف يمكن للصلاة أن تستخدم «رديّا» (يعقوب٤:٣)؟ و ما الشيء الذي يجب أن يكون الثقل الرئيسي في صلواتنا؟ كيف يمكن أن نكرم الله بصلاتنا؟

٥. اشرح ماذا يعني أن تصلي «باسم الرب يسوع»؟

٦. ما هي أهمية النقاط التاليه بالنسبة للصلاة:

- نتحاسب مع الله يوما فيوما؟
- الثبات في المسيح
- الصلاة لأجل أمور معينة محددة

٧. اكتب فقرة تصف فيها مكانة الصلاة في حياتك كتلميذ للمسيح؟ أي من مباديء الصلاة المذكورة في الكتاب (ص ٤٥) التي تهملها غالبا؟ ما الخطوات التي تعتزم اتخاذها لتصبح أكثر فعالية في صلاتك؟

الحرب

١. في أي نوع من النزاعات ينخرط تلاميذ الرب (أفسس٦:١١-١٢). ما الاستراتيجية التي يستخدمها العدو (٢كورنثوس١١:١٤-١٥). برأيك,ما أهمية أن تعرف عدوك واستراتيجيته؟

٢. ما هي أسلحة الحرب الروحية (أفسس٦:١٣-٢٠)، صف فعالية هذه الأسلحة (٢كورنثوس١٠:٣-٥)، كيف تقوم بإثبات فعاليتها في حياتك اليومية؟

٣. ادرس (٢تيموثاوس٢:٣-٤). ماذا يحث بولس تيموثاوس أن يفعل (عدد٣)؟ ما هي سمة الجندي أثناء أداء الخدمة (عدد٤)؟ عدّد الطرق التي بها يكون الجندي المسيحي في «اشتباك مع العدو». أي منها يمثل الخطر الأعظم بالنسبة لك؟

٤. ما المشاكل التي قد تنشأ في جيش إذا افتقر جنوده للوحدة؟ لماذا تشكل عدم الوحدة مشكلة جدية في الحرب الروحية؟
اقرأ (فيلبي٢) وحدد المبادئ الرئيسية المتعلقة بطريق الوصول إلى الوحدة. ثم أعط أمثلة توضح كيف يمكنك تطبيق هذه المبادئ؟

٥. لماذا تعتبر حياة التضحية ضرورية في أيام الحرب الدنيوية؟ لماذا تعتبر مهمة بنفس المقدار في الحرب الروحية؟ ما هي التضحيات المطلوبة من الجندي المسيحي أن يقدمها؟

٦. اقرأ «الحرب» في الكتاب (ص ٥١) وأكتب اي استنتاجات إضافية تراها مناسبة من الاسئلة ١-٥. حدّد الثمانية متطلبات للحرب و اكتب جملة تلخص أهمية كل متطلب في الحرب الروحية؟

٧. أية ممارسات في حياتك تشير إلى جديّتك في الحرب الروحية؟ ما هي استراتيجيتك لتصبح جندي ليسوع المسيح ذي فعالية أكبر؟

السيادة على العالم

١. ادرس متّى٢٨:١٨-٢٠؛ مرقس١٦:١٥ و ٢كورنثوس٥:١٨-٢٠. بأي معنى دعا المسيح تلاميذه للسيادة على العالم؟

٢. ماذا يجب أن يكون الدافع إذا أردنا أن يصل الانجيل إلى العالم كله؟ (متّى٢٢:٣٧، ٣٩؛ ١كورنثوس١٣:١؛ ٢كورونثوس٥:١٤-١٥). ولماذا يعتبر الدافع الوحيد المطلوب؟ كيف عكس الرسول بولس هذا الدافع؟ (أعمال الرسل٢٠:٢٤؛ ٢كورونثوس١٢:١٥أ).

٣. أية وسيلة استخدم التلاميذ الاوائل لإيصال المسيح إلى العالم؟(مرقس١٦:١٥و ٢٠؛ أعمال الرسل٨:٤) أين تتوقع أن تجدهم ينادون بالانجيل؟

٤. اذكر طريقة أخرى لنشر الايمان المسيحي؟ (مرقس٣:١٤؛ ٢تيموثاوس٢:٢). برأيك لماذا تعتبر هذه الطريقة على ذات مقدار الاهمية لطريقة المجاهرة بالانجيل؟

اقرأ «السيادة على العالم» في الكتاب (ص ٥٧) قبل الخوض في الاسئلة ٥-٦:

٥. فسّر العبارات التالية:

• «كان قصد الله أن نولد رجالاً ونموت أبطالاً»

• «إن دعوتنا المسيحية هي أنبل دعوة في الوجود، فإذا أدركنا ذلك نرقى إلى مستوى جديد رفيع»

٦. اذكر المبادئ السته المذكورة في الكتاب (ص ٦٠-٦٢) والتي يجب أن يتبعها التلاميذ عند خروجهم لتأدية رسالتهم باسم المسيح؟

٧. دعانا الله للسيادة على العالم. ما هو ردّك؟ اكتب فقرة تشرح فيها عملياً كيف تؤثر هذه الدعوة على حياتك. كيف تشارك شخصياً بالمبدأين الرئيسيين المستخدمين لاعلان المسيح للعالم؟

التلمذة والزواج

١. لماذا وضع الله الزواج للجنس البشري؟

- تكوين ١:٢٨
- تكوين٢:١٨
- ١كورنتوس ٢:٧

٢. ماذا يقول الله في الزواج؟

- امثال٢٢:١٨
- عبرانيين١١:٤أ

تفكّر في سفر الجامعة٤:٩-١٢. ما الفوائد التي يجلبها الزواج للتلميذ في عمله للرب؟ بناء على ما تعلمته إلى الآن اكتب فقرة تشرح بها، لماذا لا يتعارض الزواج مع حياة الطهارة، التكريس والخدمة للمسيح؟

٣. ادرس متى ١٩:١٠-١٢. حدد الحالات الثلاثة التي يمكن للشخص أن يمتنع عن الزواج بسببها. ما معنى أن يكون الشخص «خصي، من أجل ملكوت السموات» عدد ١٢.

اقرأ بانتباه ١كورنتوس٧ قبل الشروع بالاجابة على الاسئلة ٤-٧

٤. لقد عبّر الرسول بولس عن رغبته أن يبقى غير المتزوجين كما كان هو، اي غير متزوج (١كورنتوس٧:٧أ-٨). اكتب قائمة بالاسباب التي يعطيها لحياة العزوبية في: ١كورنتوس٧:٢٦-٣٥. هل يقول بولس بهذا أن

القديسين الذين يتزوجون هم خارج مشيئة الله أو أنهم "أقل روحياً" لو تزوجوا؟ اعط شرح لهذه النقطة.

٥. ما الذي يحدد أن يبقى المؤمن المسيحي اعزباً (١كورنثوس٧:٧ب؛ متى١٩:١٢)؟ كيف يمكن للفرد أن يعرف إن كان عليه البقاء في العزوبية (١كورنتوس٧:٩)؟

٦. كيف يجب أن يعيش المؤمن المسيحي المتزوج (١كورنتوس٧:٢٩-٣١)؟ بعبارات عملية، ماذا يعني هذا؟

أقرأ فصل "التلمذة والزواج" في الكتاب (ص٦٣) سجل أيّة افكار اضافية على الاسئلة ١-٦.

٧. كيف وبأية طريقة يمكن أن يكون الزواج عدواً مريراً لارادة الله لحياتك؟

- للغير متزوجين: ما هو المبدأ الرئيسي الذي يقود تصميمك فيما إذا كان الله قد دعاك لحياة الزواج أو العزوبية؟

- للمتزوجين: ما هي التغييرات التي من الضروري اجرائها في عائلتك لكي تضمن تكريسا اعظم للمسيح ورسالته من خلالك؟

حساب النفقة ومكافئة التلمذة

اقرأ بعناية لوقا١٤:٢٥-٣٥ ومن ثم اجب على الاسئلة ١-٤

١. ما الذي يطلبه يسوع مِن كلٍّ مَن أراد أن يكونَ لهُ تلميذاً؟

- عدد ٢٦
- عدد ٢٧

بأي شكل توضِّح هذه الامثال المطلوبة في الاعداد ٢٦-٢٧؟

٢. تعرّف على المثلين اللذين استعملهما يسوع في عدد ٢٨-٣٢. لخّص كل منهما. ثم ابرز الصفة المميزة للحياة المسيحية التي يصورها المثل، وأخيراً لخّص الدرس الروحي فيها. ربما تريد وضعها بجدول كالتالي:

العدد	التلخيص	التشبيه للحياة المسيحية	الدرس الذي نتعلمه
عدد ٢٨-٣٠			
عدد ٣١-٣٢			

٣. كيف يبرز العدد ٣٣ التطبيق لكل ما قاله في العدد ٢٦-٣٢؟

٤. تفكّر بالعدد ٣٤-٣٥. ما الذي يشير اليه «الملح» بالتعبير المجازي؟ ما الذي يقوله المسيح في الحقيقة عن التلمذة باستعماله تعبير الملح. كيف يمكن للمسيحي أن يفقد «ملوحته»؟

اقرأ الفصل عن «حساب النفقة» في الكتاب (ص٦٧) اكتب أي ملاحظات استنتجتها من الاسئلة ١-٤.

٥. ادرس يوحنا١٢:٢٣-٢٦. ما المبدأ الاساسي الذي يريد يسوع أن يوضحه بواسطة القمح (عدد٢٤)؟ كيف ينطبق هذا المبدأ على الرب يسوع؟ كيف يجب أن ينطبق المبدأ على تلاميذه؟ ماذا ستكون المكافأة؟

٦. اقرأ «ظل الاستشهاد» و «مكافأة التلمذة الحقيقية» في الكتاب (ص٧٣). عبر لكل من التصريحات التالية ما إذا توافق أو تعارض مع إعطاء الاسباب:

- «عندما يكون الانسان مكرساً ليسوع المسيح، فيظهر أن امر الموت أو الحياة لا يشكّل أية أهمية.» ______
- «لا يطلب من الكل أن يضحوا بحياتهم كشهداء... لكن لكل منا يمكن أن تكون معنويات الشهيد، وغيرة الشهيد، وتكريس الشهيد.» ______
- «إن حياة التلميذ هي أكثر حياة تعطي الرضى الروحي في العالم.» ______

٧. كيف واجهت تحدي المسيح لك شخصياً لتحسب النفقة كتلميذ له؟ اكتب قائمة بالعقبات التي تعترض التكريس الكامل للمسيح والسلوك الذي تنوي اتخاذه للتغلب على هذه العقبات.

أين كنزك

١. ادرس متى١٩:٦-٢١. ما الذي يَحظُر الرب يسوع على تلاميذه أن يعملوه؟ اشرح معنى العدد ٢١ بتعابير عملية؟

٢. ما الذي يعلمه مثال وتعليمات الرسول بولس بخصوص المهنة والعمل الجاد (اعمال١٨:١-٣؛ ٢تسالونيكي٣:٨ و١٠)؟ تفكّر بالتصريح: «يمكن للمؤمن المسيحي أن يربح المقدار الذي يريده من المال». في اي من الاحوال يكون هذا صحيحاً؟

• امثال١٣:١١	• متى٦:٢٤
• مثال٢٢:١٦	• متى٦:٣٣
• مزمور٦٢:١٠	• ١تيموتاوس٦:١٧-١٩

٣. ما هي مشيئة الله بخصوص استعمال غِنانا؟

• متى٦:١٩-٢١	• ١كورنتوس٤:١-٢
• ١تيموتاوس٦:٦-٨	• ١تيموتاوس٦:١٧-١٩

لماذا يكون خطأً للمؤمن المسيحي أن يدّخر والأموال؟

• امثال٣:٢٧-٢٨	• ١يوحنا٣:١٧
• ملاخي٨:٣	

اقرأ «اين كنزك؟» في الكتاب (ص٧٥) واكتب أية ملاحظات اضافية عن الاسئلة ١-٣٤. لقد ذُكر تسعة حُجج لتبرير ادخار الغنى للمستقبل، في فقرة «موضوع الاموال المجمّدة» في الكتاب (ص٩١). اختر واحدة من هذه الحُجج، لخصها، واعط لها جوابا بكلماتك الخاصة.

٥. حدد بعض من غرور الغنى من الاعداد التالية:

• أمثال٢٨: ٢٠-٢٢	• ١تيموثاوس٦: ٩-١٠
• متى٦: ٢٦	• يعقوب١: ١٠-١١
• متى١٩: ٢٣-٢٦	• يعقوب٥: ١-٦

٦. أعد قراءة مقطع «تحذير للكسالى» و «تحذير من الحكم على الآخرين» في الكتاب (ص١٠٦ و١٠٧) وضِّح كيف ينطبق كل واحدة من هذه التحذيرات عليك.

٧. كيف يمكنك جعل هذا الدرس يطبق عمليا في حياتك الشخصية؟ وضح بعض خطوات معينة للقيام بذلك؟

يا رب اكسرني

١. قارن بين موقف الله نحو الانسان المكسور وموقفه مع الانسان المتكبِّر (مزمور٣٤:١٨؛ ٥١:١٧؛ ١٣٨:٦؛ اشعياء٥٧:١٥؛ يعقوب٤:٦).

٢. لماذا يُعتبر التجديد نوع من الانكسار؟ ادرس متى١١:٢٨-٣٠. ما هو النير؟ لماذا يكون النير للمنكسرين فقط؟ ما معنى تصريح الرب هنا؟

٣. كيف يظهر الانكسار في حياة كل من الرجال التاليين:
- داود (مزمور٣٢:٣-٥).
- دانيال (دانيال٩:٣-١٩)
- زكّا (لوقا١٩:١-١٠)
- الرب يسوع (١بطرس٢:٢٣)

٤. ما هي بعض العناصر الاساسية للانكسار التي تاتي بها الاعداد التالية للفت إنتباهنا؟
- متى ١٨:٢٣؛ افسس٤:٣٢
- رومية١٢:١٧، ٢٠، ٢١
- فيلبي٢:٣؛ رومية١٢:١٠
- مزمور٣٢:٨-٩

٥. اقرأ «يا رب اكسرني» في الكتاب (ص١٠٩) وحدد العناصر العشرة المذكورة للإنكسار. أي منها ظهر في حياة المسيح كما صوِّرت في فيلبي٢:٦-٨؟ اشرح. يمكن كتابة ملاحظاتك في الجدول التالي:

عناصر الانكسار	كيف نراها في المسيح

٦. ما هي عناصر الانكسار التي هي أكثر صعوبة لك اظهارها في الجهات التالية؟ اشرح اجوبتك.

- في بيتك

- في الكنيسة

- في العمل

٧. حدد مواقف واضحة من مواقفك أو تصرّفك، في حياتك اليومية والتي ينقصها الانكسار. ماذا ستفعل بخصوصها؟ كن واضحاً